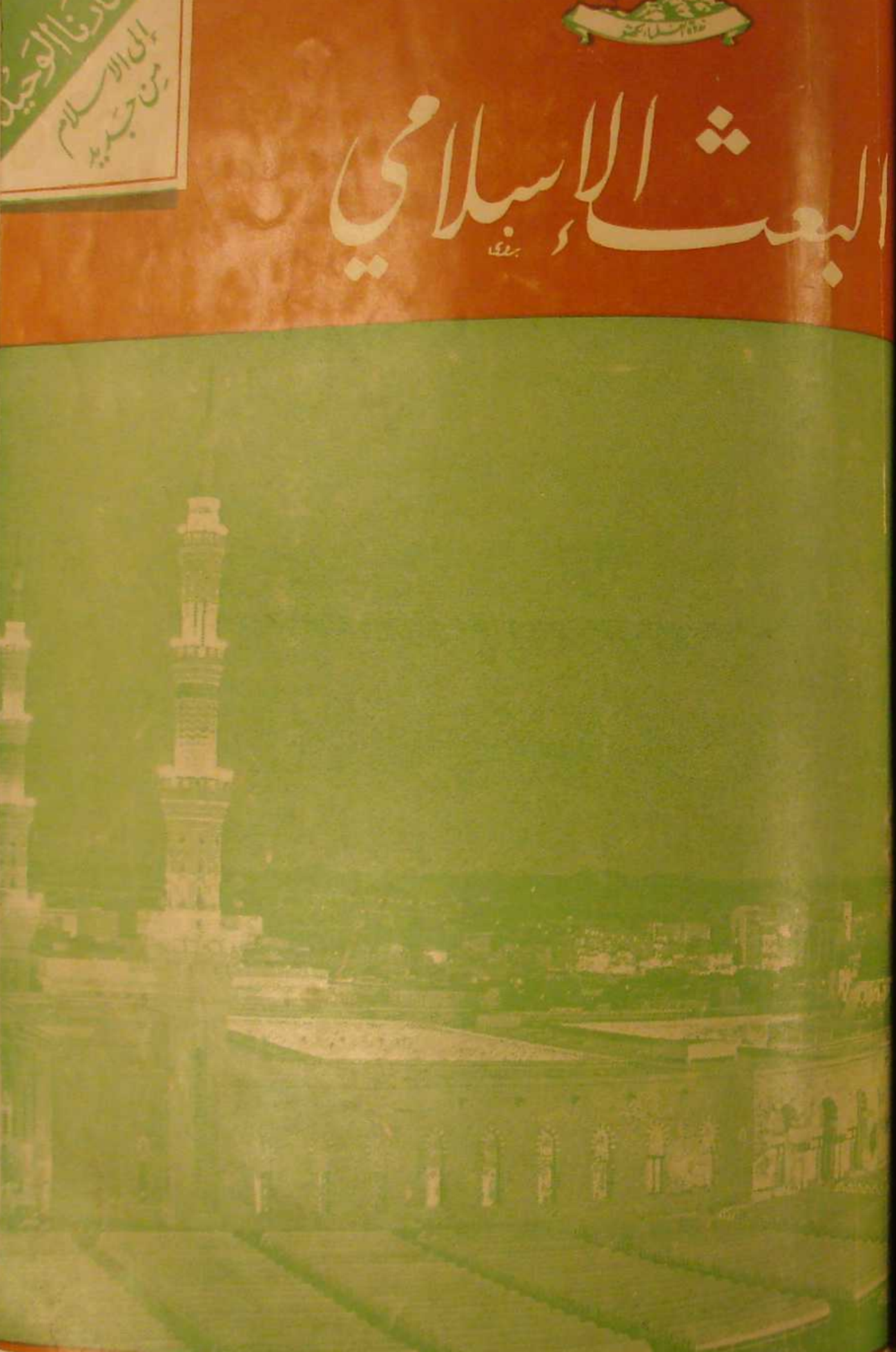


Phones . 49747 42948

Regd. No. LW/NP

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

# دور الحديث فى تكوين المناخ الاسلامى

## و صيانتـــه

بقـــــــلم

سماحة الشيخ العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

هذه الرسالة الحديثة محاضرة ألقاها سماحته فى مفتتح الموسم الثقافى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بمقر الرابطـة فى ١٦/ من شهر ذى القعدة ١٤٠١هـ

و هى تتحدث عن قيمة الحديث العملية و دوره البناء الايجابى فى تكوين المجتمع الاسلامى و تأسيس الحياة الاسلامية ، على أسس السنة و الشريعة و السيرة النبوية ، و صيانتها من الفساد و البدع و التحريف الدينى .

الناشر :

المجمع الاسلامى العلمى لندوة العلماء لكهنؤ ( الهند )

ص . ب ١١٩

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوى فى مطبعة ندوة العلماء ـ لكهنؤ ( الهند )

رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

تصدرها: ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)



المراسلات:
البعث الإسلامي
ندوة العلماء - ص.ب ٩٣
لكهنؤ - الهند

NADWAT-UL-ULAMA,
P.O. Box 93
Lucknow (India)


بسم الله الرحمن الرحيم

## لا بد من تعاون

و من الواجب على أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامى إذا بقى الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة ناقمة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية و صحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحد منا أن يعمل فى حقله و يؤدى حقوق صاحبه و لا يبتغى رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

( الأستاذ المرحوم ) محمد الحسنى

( الاسلام الممتحن صفحة ٢٤ )


المجلد السادس والعشرون
العدد التاسع

★ جمادى الثانية ١٤٠٢هـ ★
★ أبريل ١٩٨٢م ★

# محتويات العدد


هذا هو الاستشراق فما هى عدتنا نحوه ؟! سعيد الأعظمى ٣

## التوجيه الاسلامى

دراسة عن معجزة القرآن الكريم الأستاذ محمد محمود شاكر ١٠

اليقظة الاسلامية ! سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى ١٩

## الدعوة الاسلامية

الايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده سماحة الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقيه ٢٦

مبادىء فى الأدب و الدعوة فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى ٣١

## دراسات و أبحاث

معتقدات المسيحيين فى شأن سيدنا المسيح عليه السلام فضيلة الأستاذ محمد تقى العثمانى ٤٣

حركة الاستشراق فى ميزان العلم والتاريخ محمد صدر الحسن الندوى ٥٩

## الندوة العالمية للأدب الاسلامى

أدب الصحوة الاسلامية واضح رشيد الندوى ٦٦

اختبار النصوص الأدبية من وجهة النظر الاسلامية الأستاذ محمد سلطان ذوق الجاتكامى ٨٣

## العالم الاسلامى

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

بمناسبة إعلان جائزة الملك لخدمة الاسلام فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى ٨٨

أيام فى و لاية « مالوه » فى الهند المتوسطة سعيد الأعظمى الندوى ٩٣

## أخبار اجتماعية و ثقافية

فضيلة الشيخ محمد الثانى الحسنى فى ذمة الله و التاريخ « قلم التحرير » ٩٧

ندوة علمية حول « الاسلام و المستشرقون » « « ٩٩

« فتح الرحمن فى إثبات مذهب النعمان » « قلم التحرير » ٩٩

الجمعية المحمدية فى تلسى فور - غونده ( الهند ) « « « ١٠٠

دار العلوم أحمدية السلفية توجل مهرجانها التعليمى « « « ١٠٠


بسم الله الرحمن الرحيم

★ الافتتاحية :

## هذا هو الاستشراق !

## فما هى عدتنا نحوه ؟!

منى الاسلام فى معتقداته الأساسية و فى مصادره الأصيلة بمؤامرة خطيرة و دقيقة يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادى، و إن كانت لها جذور تضرب إلى أيام المسلمين فى الأندلس الاسلامية إبان ازدهارها وعظمتها، فقد كانت مدارسهم عامرة بطلاب العلم، ومن بينهم رهبان الغرب الذين تلقوا فى هذه المدارس العلوم الاسلامية و تعلموا فيها اللغة العربية حتى تمكنوا من ترجمة القرآن والأحاديث النبوية إلى لغات الغرب، وتوسعوا فى الثقافة الاسلامية، و من برز من هؤلاء الغربيين الذين درسوا فى مدارس الأندلس الاسلامية وتخرجوا منها فى العلوم الاسلامية راهب فرنسى اسمه « جربرت » (JERBERT) الذى عرف بالبابا فى كنيسة روما فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى، و يليه فى الشهرة و المكانة « بيرل اينير - Pierrele aenere » (١٠٩٢-١١٥٦م) و « جيرار دى كريمون - Gerard de cremone » (١١١٤ - ١١٨٧م) .

ركز الغرب منذ يقظته الدينية التى سموها « عهد الاصلاح الدينى » عنايته بصفة خاصة على دراسة العلوم الاسلامية الشرقية وإتقان اللغة العربية وآدابها و عبروا عن ذلك بالاستشراق ، ولم يكن الغرض من هذا الاستشراق إلا دك صرح الاسلام الدينى و زعزعة الاعتقاد بالحقائق الثابتة ، و زرع الشبهات فى النفوس وإثارة الشكوك حول تعاليم الاسلام وخلود رسالته، كل ذلك بأسلوب دراسى تحليلى ، وكنتيجة تتمخض من مجهودات علمية عكفوا عليها طوال مدة من الحياة ، حتى تمكنوا من استخراج الحقائق العلمية و التاريخية ومعلومات تتقاصر عنها عقول لجة حتى من طبقة العلماء المسلمين بالذات ، كما يزعمون .

إن الدوافع الاستشراقية نابعة فى الواقع من ذلك المقت الشديد الذى يضمره المستشرقون فى كوامن نفوسهم و خباياها نحو الاسلام الذى يرونه أكبر خصم فى سبيل حضارتهم المادية ، واتجاهاتهم الاستعمارية وغاياتهم الرخيصة ، إنهم لايشكون مثقال ذرة فى كون الاسلام آخر رسالة تتكفل سعادة الانسان و الحياة و الكون فى كل عصر و جيل إلى أن يأذن الله بفناء هذا العالم ، و لا يرتابون فيما جاء به الاسلام من هداية سماوية تشمل الحياة الانسانية فى جميع مناحيها ومجالاتها ، ولكنهم للحقد الشديد الذى يحملونه فى قلوبهم ضد الاسلام و المسلمين أرادوا أن يندسوا إلى صفوف العلماء و المسلمين و يتظاهروا بالاخلاص الكبير و بالنصح الخالص للعلوم الاسلامية والتراث الدينى واللغة العربية ، و بتزيأوا بأزياء البحث والتحقيق و التنقيب و التحليل ، فيتناولوا هذه العلوم بالدس والتسميم ، و يقوموا بابرازها فى ثوب قشيب من تحقيق نادر و دراسة عميقة ، من غير أن يشعر الباحثون من علمائنا و مؤرخينا و كتابنا و مؤلفينا بما فى ذلك من سموم ناقعة ، وبذلك تتحقق نواياهم الخبيثة فى هدم الاسلام وإضعاف الثقة بخلوده وإخراج هيبة التاريخ الاسلامى و السيرة والمقدسات الاسلامية من نفوس المسلمين ، و لقد أشار إلى هذه الحقيقة وليم جيفورد بلجراف فيما قال : « متى توارى القرآن و مكة و المدينة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة ( الغربية ) التى لم يبعده عنها إلا محمد ﷺ وكتابه » (أباطيل واسمار ـ محمود محمد شاكر ص/١٢٨).

بالاضافة إلى ترسيخ أقدامهم فى بلاد المسلمين و مراكزهم العملية و الثقافية باسم الدراسة والتحقيق ، و إنجاز نواياهم الاستعمارية بهذا التطبيق و تكوين قواعد التبشير فى هاتيك الدول ، حيث إن الاستشراق تلتقى فيه مصالح عديدة فى وقت واحد ، و تتحقق به أهداف تخدم اليهودية و النصرانية كديانتين قديمتين لهما الحق كل الحق فى القيام بالدور الريادى فى العالم كله ، رغم أن طبقة كبيرة من المسلمين أعجبت بالمستشرقين واعتبرتهم نموذجاً مثالياً للدراسة والبحث ، وما علمت بالخيانات العلمية التى استساغوها وبنوا عليها صرح اكتشافاتهم العلمية و التاريخية المزعوم ، وبها نستطيع





أن نقدر مدى حقدهم على الاسلام ، و تآمرهم على الحضارة الاسلامية و مصادر الدين و سيرة النبى عليه السلام ، يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى و هو يتحدث عن أهداف الاستشراق فى كتابه « المبشرون و المستشرقون »

« وقد تركزت أهداف الاستشراق مع تنوعها أخيراً فى خلق التخاذل الروحى ، وإيجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا و الخضوع للتوجيهات الغربية »

و يتسنى تقدير تلفيقات المستشرقين و أباطيلهم فى ضوء ما قد كتبه بعض علماء المسلمين و محققيهم ، و فى مقدمتهم الداعية الاسلامى الكبير الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله الذى أشار إلى الخيانات العلمية الكبرى التى تلبس بها المستشرقون ، وقد كشف القناع عن وجوههم الكالحة فى كتابه القيم « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » و خاصة فضح المستشرق « جولد زيهر ـ Goldizher » فى كتاباته عن الامام الزهرى ، و كشف عن خياناته العلمية التى أدهشت أوساط العلماء ممن كانوا معجبين به ومعترفين بمكانته العالية فى الدراسات الاسلامية ، كما أن بعض المنصفين من المستشرقين الذين ضاقوا ذرعاً بالأكاذيب والاتهامات التى وجهت إلى الحقائق الاسلامية الناصعة لتزييفها وإسقاط منزلتها بين الناس ، سيبوا الاطلاع على مخططات الاستشراق الرهيبة ، و أهدافه الاجرامية ، وعلى هذا الأساس فقط وفق المستشرق الفرنسى « دينيه ـ E. dinet » إلى الاعتناق بالاسلام والدفاع عنه مع كشف نوايا المستشرقين و أساليبهم الخداعة لتشويه وجه الاسلام النقى ، كما اهتدى إلى الاسلام فى عصرنا الحاضر المستشرق النمساوى « ليولد ويس » سابقاً ، و تسمى باسمه الاسلامى محمد أسد ، و قد تحدث عن قصة عودته إلى الاسلام فى كتابه الشهير « الطريق إلى مكة » (Road to Mecca).

إلا أن عدد المنصفين من هذه الفئة الحاقدة قليل لا يعدو عدد الأصابع ، ذلك لأن بواعث عملهم لم تكن إلا لتفنيذ تعاليم الاسلام و تصوير المسلم بأخس وأتفه شكل ، وقد استخدموا لهذا الغرض كل وسيلة من وسائل التلفيق والتشويه ،

سواء عن طريق التأليف والنشر والبث والاعلام بجميع أنواعه وألوانه ، أو طريق التعليم و التربية و التبشير و الصحافة و المؤتمرات و الجمعيات ، و باسم النشاطات الانسانية والخدمات الاجتماعية ، إنهم لم يدخروا وسعاً فى التأثير فى النفوس أولا ، وإثبات كفاءتهم العلمية والدراسية ثانياً ، وقد أقاموا لذلك كل الاعتبارات التى مست الحاجة إليها ضمن مخططاتهم الاستشراقية .

كانت أهداف المستشرقين تدور فى الغالب حول التشكيك بصحة الكتاب و السنة و إنكار النبوة و تزييف السيرة النبوية ، و هدم صرح الفقه الاسلامى ، وإثارة الشبهات حول التاريخ الاسلامى وإزالة الثقة برجال وأعلام الأمة الاسلامية الذين مثلوا السيرة الاسلامية النقية و الخلق الاسلامى النبيل و كانوا أمثل نموذج للمسلم الكامل ، و لكنهم لم يتظاهروا فى أى حال بما إذا كانوا يتوخون من وراء أعمالهم نوعاً من العداء و الحقد ، بل الواقع أنهم بالعكس من ذلك ظهروا للناس نصحاء مخلصين لا يريدون إلا خدمة العلم ، و التحقيق و الدراسة فى موضوعية كاملة ، و قد اغتر بهذه الدعوى الكاذبة كثير من المسلمين المثقفين و وقعوا فريسة هذا النفاق والتلبيس الذى تأسس عليه عمل الاستشراق ، و لكن قيض الله فى كل عصر من قام بكشف أضاليلهم ، وفضح أكاذيبهم ، وإبراز مواضع دسهم واختلاقهم .

كما قد أشار إلى خطورة هذه المؤامرة المكثفة التى خفيت على معظم علماء المسلمين ، وصرح بما يقوم به المستشرقون من هدم الاسلام وتاريخه باسم الدراسات الاسلامية ، علامة الهند الكبير الدكتور السيد سليمان الندوى رحمه الله ، صاحب السيرة النبوية ، ورئيس الشئون التعليمية فى جامعة ندوة العلماء سابقاً ، ورئيس إكاديمية شبلى (مجمع دار المصنفين) فى الهند سابقاً ، منذ عقود من السنين ، يقول فى إحدى كتاباته ، عن المستشرقين مع اعتراف بمجهوداتهم العلمية فى إثارة دفائن العلوم وإنارة جوانب منها :

« إن علماء أوربا إذا كانوا قد وفقوا لتوفير بضاعة من العلوم الحديثة وعرض ثقافاتهم الأوربية بأساليب جديدة فان أهمية العلوم الاسلامية استرعت شغفهم العلمى إلى أن يعتنوا بها ، و تواجدت منهم فئة مستقلة باسم المستشرقين استهدفت صيانة





و نشر الآداب العربية و علومها و اعتبرتها غاية بذاتها ، و لا شك فان مجهودات المستشرقين الملحوظة نحو العلوم الاسلامية و آدابها لجديرة بالشكر حيث إنهم قاموا باثارة بعض الدفائن من تراثنا العلمى و الأدبى و تنشيطها من جديد .

و مما لا شك فيه أن هذه العلوم و الحضارة الاسلامية لم تكن ذات انتماء خاص بهم و لا بتاريخهم و دياناتهم ، لذلك فما كانوا يستطيعون أن ينظروا إليها بنظرة الحب و العطف كشأن المسلمين ، و من ثم كان لمجهوداتهم العلمية فى مجالات العلوم و الحضارة الاسلامية بعض النفع فى جانب ، وأضرار بالغة فى جانب آخر تحتم على علماء المسلمين أن يتداركوها بدراساتهم و تحقيقاتهم العلمية الرصينة .

كما ظهرت من بينهم فئة أخرى رضيت بوضع هذه المجهودات المباركة بغير موضعها ، و بدأت تنظر إلى العلوم الاسلامية من خلال وجهات الأنظار الغربية و المسيحية ، و فتحت جبهة جديدة باسم التحقيق و الدراسة ، تشن منها هجمات سافرة على دين إسلام و على نبى الاسلام و على العلوم و الآداب الاسلامية وعلى الحضارة الاسلامية ، حتى تراكمت اليوم دراسات ومؤلفات من هذا النوع وتكونت منها مكتبة بذاتها ، و رغم أن هذه الفئة اتخذت التاريخ الاسلامى والعلوم والآداب الاسلامية مجالا لنشاطها الدراسى بادى ذى بدء إلا أن هذا المجال مازال يتسع إلى أن شمل السير و التراجم و علم الكلام و الفقه الاسلامى ثم اتسع وغطى الكتاب والسنة وموضوع التزكية ، و توافرت كتب و مؤلفات فى هذه الموضوعات بأقلام المستشرقين ، تحمل طابع الدراسة و التحقيق .

يصعب أن نقدر مدى أضرار هذا النوع من الكتب و المؤلفات التى نالت من قيمة الاسلام وتنال منها فى المستقبل ، فان تركنا هذه السموم تسرى فى الكيان الاسلامى ولم نبحث لها عن درياق ، فماذا سيكون مصير علومنا وآدابنا الاسلامية ، وكيف تتسرب سموم هذه الدراسات النافعة إلى أذهان الناشئة من المفكرين والعلماء » ( مجلة المعارف الشهرية ) .

و تتجلى حقائق واضحة إلى خطورة موقف المستشرقين من العلوم الاسلامية

و مصادرها الأصيلة من خلال ما كتبه الباحثون من علماء الاسلام حول المستشرقين و دسائسهم و افتراءاتهم ، و رغم أن العالم الاسلامى قد تكشف عليه الآن أسرار الاستشراق وظهر للمسلمين وجوه المستشرقين السوداء فى مرآة الحقيقة لا يزال العمل الاستشراقى مستمراً بأساليب جديدة ، وأسماء مستعارة .

لقد آن الأوان أن يتنبه المسلمون فى كل مكان إلى هذا التعصب الأعمى والحقد الأسود الذى نبع منه الاستشراق ، حتى يتهيأوا لتحطيم أوكار الفساد ، و الاغارة على مراكز الهدم للقيم الدينية و الخلقية و التشكيك فى العلوم والمصادر الاسلامية ، و لقد سن لنا بعض علماء العالم الاسلامى سنة الهجوم على هذه المراكز و دحض أباطيل الأعداء ، فى ضوء الحجج والبراهين القاطعة ، ومن بين هؤلاء العلماء الأعلام الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله ، الذى وفق بفضل الله لتحطيم قلعة الاستشراق فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » وهو يتوقع من الجيل الحاضر أن يتحلى بالاستقلال الفكرى ويشعر بأهمية شخصيته الحضارية والتاريخية ، يقول فى إحدى كتاباته :

« ابتدأ عندنا الشعور بوجوب الاستقلال الفكرى ، الشعور بشخصيتنا وقيمة حضارتنا وتراثنا ، الشعور بالخجل لموقفنا السابق من اتكالنا على المستشرقين فى معرفة ما عندنا من تراث وعقيدة وتشريع ، و انتشر هذا الوعى فى أوساطنا المثقفة من دينية وغيرها ، فبدأنا نكشف الحقيقة ، حقيقة هؤلاء المستشرقين فى أبحاثهم وأهدافهم الدينية و الاستعمارية من ورائها .

ما زلنا نسير فى هذا الاتجاه الذى لم يستكمل قوته و استقلاله الذاتى بعد ، لأنها سنة الله فى الأشياء ، و لكننا واصلون إلى هذه المرحلة باذن الله ، حتى يأتى يوم يستغرب فيه أبناؤنا و أحفادنا ، كيف كنا بسطاء مخدوعين بهؤلاء المستشرقين إلى هذا الحد » ( المستشرقون ، ما لهم و ما عليهم ) .

فهل نحن فى الطريق إلى وضع إمكانياتنا فى وجه هذه المؤامرة الخطيرة التى خدعت صفوة عقول العالم الاسلامى و شوهت عليها وجه الاسلام النقى ! ؟

سعيد الأعظمى



# التوجيه الإسلامى

★★★

# ★★ دراسة عن معجزة القرآن الكريم ★★
# ★ ★ ★ ★ ★

((٣))

‡ الأستاذ محمد محمود شاكر

[ نشرت الحلقة الأولى من هذا المقال فى العدد التاسع و العاشر ، المجلد الخامس والعشرين نرجو مراجعتها إذا أراد أن يطلع عليها القارىء الكريم ] « التحرير »

ولم تكد دولة بنى العباس ترسى قواعدها حتى دخلت بعض العقول إلى فحص « إعجاز القرآن »، من باب غير باب السفه والاستطالة ، فقام بالأمر كهف المعتزلة و لسانها : « أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام » ، فأتاه من قبل الرأى و النظر ، حتى زعم أن الله قد صرف العرب عن معارضة القرآن ، مع قدرتهم عليها ، فكانت هذه الصرفة هى المعجزة ، أما معجزة القرآن فهى فى إخباره بكل غيب مضى ، و كل غيب سيأتى . و هذه مقالة لا أصل لها إلا الحيرة و الابتهار من هذا الذى أعجز أهل الجاهلية و أسكتهم ، و هب قوم يعارضونه و يجادلونه ، منهم صاحبه أبو عثمان الجاحظ ، فألف كتابه فى « نظم القرآن » ، وأنه غاية فى البلاغة ، وقال الجاحظ وغيره و من يليهم ، ولكن ظل الأمر محصوراً فى إثبات « الصرفة » و إبطالها ، و فى طرف من الاستدلال على بلاغة القرآن و سلامته مما يشين لفظه ، و خلوه من التناقض ، و اشتماله على المعانى الدقيقة ، و ما فيه من نبأ الغيب ، إلى آخر ما تجده مبسوطاً فى كتب القوم ، و الذى عرفت قولنا فيه فيما مضى من كلامنا ،

ثم كثرت اللجاجة بين هذه الفئات ممن عرفوا باسم المتكلمين ، وكان أمرهم





أمر جدال و بسطة لسان ، وعلبة حجة ، و مناهضة دليل بدليل ، حتى إذا صارت مسألة « إعجاز القرآن » مسألة تستوجب أن ينبرى لها رجل صادق ، انبرى لهؤلاء المتكلمين ، « أبو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ » و الناس يومئذ بين رجلين كما قال هو نفسه ، ذاهب عن الحق ، ذاهل عن الرشد ، و آخر مسدود عن نصرته ، مكدود فى صنعته ، فقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين فى أصول الدين ، وتشكيكهم أهل الضعف فى كل يقين .. و ذكر لى عن بعض جهالهم أنه جعل يعدله ببعض الأشعار ، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه ، وليس هذا ببدع من ملحدة هذا العصر ، وقد سبقهم إلى عظم ما يقولون إخوانهم من ملحدة قريش و غيرهم ( كتابه إعجاز القرآن ص ٥-٦ ) فهذا هو الذى حفزه و أهاجه ، حتى كتب كتابه المعروف « إعجاز القرآن » .

و كتب الباقلانى كتابه و أهل اللسان العربى يومئذ هم الناس ، و لم يزل تذوقهم للبيان ماوصفت لك ، تذوق ملتبس بالطباع ، مردود إلى السلائق ، مستحوذ بمدارسة الشعر وسماعه وروايته ولكن لم يضر جمهور هذه الطباع شيئاً أن استفاض الجدل و ظهر سلطانه ، وأن صارت كل فرقة تمضغ كلاماً ، تناضل به عن رأيها ، وتقطع به حجة خصمها ، طلباً للغلبة ، لا تمحيصاً للرأى وفحصاً عن الحق ، ورضى الله عن أبى بكر الباقلانى ، فقد جمع فى كتابه خيراً كثيراً ، واستفتح بسليم فطرته أبواباً كانت قبله مغلقة ، وكشف عن وجوه البلاغة حجاباً مستوراً ، و لكنه زل زلة كان لها بعد ذلك آثار متلاحقة ، و إن لم يقصد بها هو قصد العاقبة التى انتهت إليها .

كان الباقلانى حقيقاً أن ينهج النهج الذى أدناه إليه تمحيص مسألة « الاعجاز » ويومئذ يجعل الشعر الجاهلى أصلا فى دراسة بيان عرب الجاهلية ، من ناحية تمثله لخصائص بيان البشر ، والباقلانى رضى الله عنه كان يجد فى نفسه وجداناً

واضحاً أن خصائص بيان القرآن مفارقة لخصائص بيان البشر ، و قد ألمح إلى ذلك فى كتابه ، كما ألمح إليه من سبقه ، بيد أن جدل المتكلمين قبله وعلى عهده ، وخوض الملحدين فى أصول الدين كما قال ، و منهجهم فى اللجاجة و طلب الغلبة ، كل ذلك لم يدعه حتى استغرق فى الرد عليهم ، على مثل مناهجهم من النظر ، ثم دارت به الدنيا ، لما بلغ أن بعض جهالهم يعدل القرآن ببعض الأشعار ، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام .

وأنت تستطيع أن تقرأ كتابه فصلا فصلا لتجد مصداق ما أقول لك ، حتى إذا انتهى إلى الذى هاجه ، من موازنة القرآن ببعض الأشعار ، هب إلى تسفيه هذه الموازنة فدعاك فى أوسط كتابه أن تعمد معه إلى مالا تشك فى جودته من شعر امرىء القيس ، و ما لا ترتاب فى براعته و لا تتوقف فى فصاحته ، كما قال فى كتابه (٢٤١) فطرح بين يديك هذه القصيدة ، و جعل يفصلها وينقدها ويمحو من محاسنها و يثبت ، و يقف بك على مواضع خللها ، و يفضى بك إلى مكان ضعفها ، و لم يزل يعريها حتى كشف الغطاء عن عوارها ، ثم ختم ذلك بقوله : « و قد بينا لك أن هذه القصيدة و نظائرها ، تتفاوت فى أبياتها تفاوتاً بيناً فى الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكن والاستصعاب ، و التسهل و الاسترسال ، و التوحش و الاستكراه ، و له شركاء فى نظائرها ، و منازعون فى محاسنها ، و معارضون فى بدائعها » .

فلما انتهى من ذلك افتتح فصلا شريفاً نبيلا ، ذكر فيه آيات من القرآن ، و حاول أن يقفك على بدائع نظمها و بيانها ، و هذا الفصل هو أدل الدليل على أن الباقلانى لو كان استقام له المنهج الذى ذكرناه لبلغ فيه غاية يسبق فيها المتقدم ، و يكد فيها جهد المتأخر ، ولكنه لم يزد فى هذا الفصل على أن جعل يوقفك على بيان شرف الآيات لفظاً و معنى ، و لطيف حكايتها ، و تلاؤم رصفها ، وتشاكل





نظامها ، و أن نظم القرآن لا يتفاوت فى شئ ، و لا يتباين فى أمر ، ولا يختل فى حال ، بل له المثل الأعلى و الفضل الأسنى ( كتابه ص ٣٠٢-٣٠٥ ) و ذكر تناسب الآيات فى البلاغة والابداع ، وتماثلها فى السلاسة و الاعراب ، و إفرادها بذلك الأسلوب ، و تخصصها بذلك الترتيب ، أما غيرها من الكلام فهو يضطرب فى مجاريه ، و يختل تصرفه فى معانيه ، و هو كثير التلون ، دائم التغير و التنكر ، و يقف بك على بديع مستحسن ، ويعقبه بقبيح مستهجن يأتيك باللفظة المستنكرة ، بين الكلمات هى كاللآلى الزهر ( كتابه ص ٣١٣ - ٣١٤ ) ثم انتهى إلى قوله فى القرآن : « و على هذا فقس بحثك عن شرف الكلام وما له من علو الشأن ، لا يطلب مطلبا إلا انفتح ، و لا يسلك قلبا إلا انشرح ، و لا يذهب مذهباً إلا استناد و أضاء ، ولا يضرب مضرباً إلا بلغ فيه السماء ، و لا تقع منه على فائدة فقدرت أنها أقصى فوائدها إلا قصرت ، و لا تظفر بحكمة فظننت أنها زبدة حكمها إلا قد أخللت ، إن الذى عارض القرآن بشعر امرىء القيس ، لأضل من حمار باهلة و أحمق من هبنقة » (كتابه ص ٣٢١-٣٢٢) .

و صدق الباقلانى فى كل ما قال ، إلا أنه لم يزد على أن بين خلو القرآن من الاختلاف و التغير ، و براءته من كل ما يلحق كلام الناس من عيب وخلل ، و كل ما هو قرين لضعف طبائعهم ، وإن استحكمت قواهم ، و دال على عماهم عن كثير من الحق ، وإن استنارت بصائرهم ، و لعمرى إنه الحق لاينال منه الباطل ، و لكنه غير الذى ينبغى أن نتطلبه من كشف أصول البيان التى يفارق بها بيان القرآن بيان البشر من الوجه الذى فصلناه .

و ليس هذا موضع بحثنا الآن ، و لكن بحثنا عن الشعر الجاهلى ، وما كان من أمره .

فهذه الموازنة التى هاجت الباقلانى ، كما ذكر هو حملته على هتك الستر عن معلقة امرىء القيس ، ليكشف للناس عيبها و خللها ، لا ليستخرج منها خصائص بيانهم ، وكيف كانت هذه الخصائص مفارقة لخصائص بيان القرآن ، فلما زل الباقلانى هذه الزلة و أخطأ الطريق زل به من بعده و أخطأه ، و أخذوا الشعر الجاهلى كله هذا المأخذ ، و لكن العجب بعد ذلك أن (الشعر الجاهلى) ظل عند البلغاء و جمهور الناس هو مثقف الألسنة و الحجة على اللغة ، و الشاهد على النحو و ما إلى ذلك ، ولكنهم إذا جاءوا لذكر القرآن وإعجازه ، اتخذوه هدفاً للنقد والتفلية ، و إظهار العيب ، و تبيين الخلل ، بازاء كلام بريئ من كل عيب و خلل ، فيبقى الأمر أمر موازنة لا عدل فيها ، وكان حسبهم من الدليل أن أهل الجاهلية بتركهم معارضة القرآن بشعرهم أو كلامهم ، هو إقرار لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم ، فلم تكن بالباقلانى حاجة إلى سلوك هذا الطريق الذى سلكه ، إلا ما حمله عليه ما نعق به جاهل من جهال المتلحدة ، من الموازنة بين الكلامين ، و تفضيل شعرهم على القرآن .

و كان قد نازع ذلك باب آخر من اللجاجة ، فى الموازنة بين شعر الجاهلية و شعر المحدثين من شعراء الاسلام ، و ظل الجدال فى تفضيل أحدهما على الآخر باباً تقتحمه الألسنة طلباً للغالبة و الظهور ، و داخل ذلك من الازراء على الشعر الجاهلى و عيبه ما داخل ، فكان هذا أيضاً صارفاً عن مدارسته على الوجه الذى طلبناه فى صدر حديثنا ، و فى خلال ذلك كله ، تجمعت على فهم الشعر الجاهلى أخطاء شديدة الخطر ، غشت حقيقته بحجاب كثيف من الغموض ، زاده كثافة ما لحق الشعر الجاهلى من التشتيت و الضياع و ما أصابه من اختلال الرواية بالزيادة و النقصان ، و التقديم و التأخير ، حتى اختلطت فيه المعانى أحياناً اختلاطاً ، سهل





لكل غائب أن يقول فيه ما عن له ، ومع كل ذلك أيضاً بقى الشعر الجاهلى مثقفاً للألسنة ، و معدناً لشواهد اللغة و النحو و البلاغة ..

فليت شعرى أى بلاء ترى أصاب هذا الشعر !!

ثم تتابعت العصور على ذلك ، و على ما هو أشنع منه ، حتى أفضينا به فى هذا العصر الحديث إلى أقبح الشناعة يوم فرض الاستعمار الغربى الغازى على مدارسنا منهجاً من الدراسة لا يقوم على أصل صحيح كان يرمى فى نهايته إلى إضعاف دراسة العربية إضعافاً شائناً ، لا مثيل له فى كل لغات العالم التى يتلقاها الشباب فى معاهد التعليم على اختلاف درجاتها ، ثم طمت الشناعة بعد سنين ، حين عزلت اللغة العربية عزلا مقصوداً عن كل علم وفن ، وأصبح الشباب يتعلم لغته على أنها درس محدد ، هو ثقيل بهذا التحديد المجرم على كل نفس ، وبخاصة نفوس الشباب الغض ، ثم لما أنشئت الجامعة ، و دخلها هؤلاء الشباب على ما هم فيه من الملل بلغتهم ، و من الاستهانة بأمرها ، طلع قرن الشيطان بفتنة (الشعر) و التشكيك فى صحة روايته ، و طار الشر إلى الصحافة فاتخذت اللغة القديمة كلها لا الشعر الجاهلى وحده ، مادة للهزء و السخرية ، و للنكتة و الزراية ، لا بل تندروا بكل من بقى على شئ من المحافظة على سلامة اللغة ، سلامة هى كابراء الذمة لا أكثر و لا أقل .

هذا تاريخ مختصر للأسباب التى وقفت بالشعر الجاهلى حيث وقف قديماً ، فحالت بين علماء البلاغة و المنهج الذى كشفته و بينته ، و كان لزاماً عليهم و علينا أن نسلكه لدراسة إعجاز القرآن ، دراسة صحيحة سليمة من الآفات ، و هو تاريخ أشد اختصاراً للذى تبع ذلك فى العصر الحديث ، لما صار (الشعر الجاهلى) ملهاة يتلهى بها كل من ملك لساناً ينطق ، حتى ألقى ذلك كله ظلا من الكآبة و الظلة

على دراسات المحدثين فى الجامعة و غير الجامعة ، حين يدرس أحدهم هذا الشعر ، هذا الشعر الذى كان حين أنزل الله القرآن على نبيه ﷺ ، نوراً يضيئ ظلمات الجاهلية ، و يكف أهله لبيانه عكوف الوثنى للصنم ، و يسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لأوثانهم قط ، فقد كانوا عبدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان ! و قد سمعنا بمن استخف منهم بأوثانهم ، و لم نسمع قط بأحد منهم استخف ببيانهم .

و أنت خليق أن تعرف الشيئ الذى طلبته و احتججت له ، و حاولت أن أكشف عن منهاجه و مذهبه ، إنما يتعلق بخصائص البيان فى القرآن و خصائص بيان البشر على اختلاف ألسنتهم ، و أن مخرج هذا غير مخرج هذا و أن الشعر الجاهلى ، إنما هو مادة الدراسة الأولى ، لأن القرآن نزل بلسان العرب ، و الذين نزل عليهم ثم تحداهم و أعجزهم ، هم أصحاب هذا الشعر و المفتونون به و ببيانه ، و هذا باب غير الباب الذى افتتحه الباقلانى ، ثم فجر عيونه إمام البلاغة ( عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧٤) فى كتابيه (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) ثم أبدع فيه العلماء ما أبدعوا ، و زادوا فيه عليه و نقصوا ، و كان ذلك بعد أن أغلق الباب الذى فصلنا القول فيه ، كان هو الجدير بأن يفتتحه الباقلانى و عبد القاهر .

فاذا تم ما دعونا إليه لأهل هذا اللسان العربى يوماً ما ، و عسى أن يكون ذلك بتوفيق الله ، فسيكون ذلك فتحا مبيناً لا فى تاريخ البلاغة العربية وحدها بل فى تاريخ بلاغة الجنس الانسانى كله ، و سيكون أيضاً مقنعاً ، ورضى (لهذا العقل الحديث) الذى يتطلب فى معرفة ( إعجاز القرآن ) ما يرضى عنه و يطمئن إليه ، وليس هذا بحسب ، بل إن أهل الحق من أهل الاسلام ، سيجدون يومئذ وسيلة





لا تدانيها وسيلة ، تسهل لهم ما استغلق عليهم من دعوة الناس إلى كتاب الله الذى خص به العرب ، و جعل فيه ذكرهم على الدهر حين أنزله بلسانهم ، ولكنه جعله هدى للبشر جميعاً عربهم و عجمهم ، و يومئذ ستبطل فتنة ( ترجمة القرآن ) من أصلها ، لسبب ظاهر أشد الظهور ، فان البشر إذا لم يكن فى طاقتهم بألسنتهم التى يبدعون فى شعرها و نثرها ، أن يأتوا ببيان كبيان القرآن ، تدل تلاوته على أنه بيان مفارق لبيان البشر ، فمن طول السفه وغلبة الحماقة ، أن يدعى أحد أنه يستطيع أن يترجم القرآن ، فيأتى فى الترجمة ببيان مفارق لبيان البشر ، فاذا لم يكن ذلك فى طاقة أحد ، لم يكن لهذه الترجمة معنى ، بل سيكون فيها من القصو و التخلف ، ما يجعل القرآن كلاما كسائر الكلام ، لا آية فيه ولا حجة على أحد من العالمين ، و لا توجب ترجمته على أحد أن يؤمن بما فيه ، و إن خالف ما جرى عليه اعتقاده أو عمله ، إلا إذا آمن من قبل أنه كتاب منزل من السماء و هذا عكس لآية القرآن ، و هى أن بيانه هو الدليل القاطع على أنه ليس من كلام البشر ، و أنه كتاب منزل من السماء ، و أنه هو كلام رب العالمين الذى تعبدنا بتلاوته و الذى قال فيه رسول الله ﷺ : [ الماهر بالقرآن مع السفرة ، الكرام البررة ، و الذى يقرأ القرآن و يتتعتع فيه ، و هو عليه شاق ، له أجران ] و قال أيضاً : [ من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، و الحسنة بعشرة أمثالها ، لا أقول « ألم » حرف ، و لكن أقول ألف حرف ، و لام حرف ، و ميم حرف ] .

و أما بعد ، فعسى أن يكون الله قد ادخر لآخر هذه الأمة ، بعض ما يلحقها بفضل أولها ، فتفتح بالقرآن آذاناً صماً ، و عيوناً عمياً ، و قلوباً غلفاً ، و تخرج بهديه الناس من ضلالتهم ، و تذودهم به عن اتباع خطوات الشيطان إلى

اقتفاء الصراط المستقيم ، والله تعالى يقول لنبيه : « و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم . و إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون » ( سورة المؤمنين ٧٣ ، ٧٤ ) .

وعسى أن يتم على يد آخرها ما خبه الله عن أولها ، وعسى أن يكون ذلك مخبوءاً فى هذا الفصل الذى نجده فى أنفسنا بين بيان الله سبحانه ، و بيان عباده من البشر

« قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » ( سورة الأنعام : ١٤٩ ) .

ورحم الله مالك بن أنس إذ يقول : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » فاذا كان أولها لم يصلح إلا بالبيان ، فآخرها كذلك لن يصلح إلا به ، و إن امرءاً يقتل لغته و بيانها ، و آخر يقتل نفسه ، لمثلان ، و الثانى أعقل الرجلين !

وشكر الله لأخى مالك بن نبى حيث دعانى إلى كتابة مقدمة لكتابه ، كتاب « الظاهرة القرآنية » ، ففتح لى به بابا من القول فى « إعجاز القرآن » كنت أتهيب أن ألجه ، وباباً آخر من القول فى « الشعر الجاهلى » كنت أماطل نفسى دونه ، و أنا أعلم أنى قد قصرت فى ذلك كله و اختصرت ، و إن كنت قد أطلت ، و أخشى أن أكون قد أملت ، ولـ نذرى أن الرأى فيهما كان قد شابه ماكدره فبذلت جهدى أن أمحص القول فيهما ، حتى أنفى عنهما القذى ، و أخلصهما من الأذى ، مبتغيا بذلك وسيلة إلى ربى سبحانه طلبت القربة عنده ، « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » .

و الحمد لله وحده ، و لا حول و لا قوة إلا به ، و لا فضل إلا من عنده ؟

* * *



★ من روائع شعر محمد إقبال :

# ★★★★★★★ اليقظة الاسلامية (١) ★★★★★★★

‡ سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى

لقد كان للحرب الكونية الثانية (١٩١٤-١٩١٨) و حملات الحلفاء وتضعضع الخلافة العثمانية ، آثار سيئة على البلاد الاسلامية ، لاسيما الهند الاسلامية التى هب شعبها المسلم يداً واحدة لمناصرة الخلافة العثمانية و تأييد قضيتها ، و جعلها قضية الموت و الحياة و شغله الشاغل ، و لكن لما انهارت الخلافة العثمانية أمام الحملات الشرسة التى كان يشنها الحلفاء ، دب اليأس فى قلوب مسلمى الهند ، وكادوا يقطعون الرجاء من انتقاضة الاسلام وقوته ، واستهانوا بمكانتهم ، وداخلهم الوهن ، وفترت الهمم و نكست الرؤوس ، و استولى اليأس .

هنالك انقلب الشاعر الحكيم داعياً مجاهداً يثير الحماس ، و ينفخ فى المسلمين روح العزة و الاباء ، و يذكر المسلم بدوره الرائد ، و مكانته القيادية ، و رسالته الخالدة التى لا ينطفئ سراجها ، ولا تذهب بذهاب الحكومات و انقلاب الدول ، فهى رسالة نابعة من أصالته ، و ذاتيته ، و اختياره لسيادة هذا الكون .

---

(١) اسند المؤلف ترجمة هذه القصيدة البديعة و التمهيد إلى الأستاذ السيد سلمان الحسنى الندوى ، و قد قام بها خير قيام فى بضع ساعات ، و ليست القصيدة كلها مترجمة فقد اخترنا منها بعض القطع الرائعة و جاءت فيها روح القصيدة .

نظم الدكتور محمد إقبال فى هذه الفترة الحالكة غرر القصائد ، و كلها آية فى الشعر و الحكمة و الحماسة ، و لكن قصيدة « طلوع الاسلام » وهى التى عنوناها بـ « اليقظة الاسلامية » تحتل مكانة بيت القصيد . فلا يوجد لها نظير فى جودة السبك ، و قوة التعبير و جمال الانسجام و سيلان القريحة ، وهى سمات لا يمكن نقلها و ترجمتها إلى لغة أخرى ، و لكن « إن لم يصبها وابل فطل » يقول محمد إقبـــال .

« أنت أيها المسلم - يد القدرة الالهية ، و لسانها و ترجمانها ؛ جدد فيك الايمان و اليقين ، فقد عراك الظن و التخمين ، إن مقامك و منزلك وراء هذه القبة الزرقاء و السماوات العلى ، وإن ركبك يمشى فوق النجوم النيرة و الكواكب المتلألئة .

إن هذا الكون بما فيه و من فيه ، سائر إلى الزوال و الفناء ، و لكنك تملك الآماد والابعاد ، فانك أنت رسالة الله الخالدة الأخيرة فأنت خالد مع خلود رسالتك ، و دائم بدوام دورك و مهمتك .

إن دماءك القانية الفياضة عطر حناء لعروس الوردة الحمراء ، فبدمائك السخية الطاهرة تنتعش الورود و الأزهار ، و يجرى فى عروقها ماء الحياة ، إن نسبك المعنوى متصل بسيدنا إبراهيم - عليه الصلاة و السلام - فأنت بانى الحرم ورافع قواعد البيت العتيق

إن فطرتك حارسة و أمينة لامكانات الحياة و أسرار الوجود ، فأنت المحك الأصيل لجوهر الكون و سر الحياة ، و إن ما حملته النبوة من تحفة غالية وهدية ثمينة من عالم الماء و التراب إلى عالم الخلود الذى لا يزول و لا يحول ، إنما هى





أنت ، و قد انكشف هذا السر الدقيق بماضى الأمة الحنيفية و الملة السمحة البيضاء ، إنك أنت الوصى على هذه الشعوب و الأمم التى تقطن بلاد آسيا .

عد مرة ثانية إلى دروس الصدق والعدل و الشجاعة ، فالكون فى انتظارك ، و قيادة العالم تتطلع إليك و تستشرف نحوك .

إن غاية الخلق و الأمر ، وسر الدين و الاسلام ، أن تسود الاخوة والمحبة و الوئام ، حطم - أيها المسلم - أصنام اللون و اللحم و الدم ، و ذب فى بوتقة الملة الحنيفية السمحة لتصهر صهراً جديداً ، فلا فروق ولا امتيازات ، ولاجنسيات و وطنيات ، و لا عصبيات و قوميات .

إلى متى تتمتع برفقة الطيور المغردة فى الحديقة الفيحاء بين الأغصان الرطبة البليلة ، أليس بجناحيك قوة طيران الصقور المحلقة فى الفضاء التى تنشئ أوكارها فى الجبال الهوداء و الشماء .

إن يقين المسلم و إيمانه فى عالم الظن والتخمين ، كمصباح الراهب فى الصحراء فى ظلمات الليل البهيم ، ما الذى أطاح بعروش كسرى و قيصر و قضى على ظلمهما و جورهما ؟ إنه قوة على ، و فقر أبى ذر ، و صدق سلمان .

انظر إلى ركب المؤمنين الأحرار ، كيف يشق طريقه فى أبهة و جمال ، و يتطلع إليه من فتحات الأبواب أسرى القرون و الأجيال ، إنه لاثبات و لا استقرار للحياة إلا بالايمان القوى الراسخ ، فقد ثبت أن الطورانى (١) ارسخ قدماً من الألمانى .

إن هذه الشعلة من طين ، عند ما تتحلى بالايمان و اليقين ، تكتسى بجناحى

(١) إشارة إلى الشعب التركى المؤمن الباسل الذى كان يكافح فى سبيل الاسلام و الشرف .

الروح الأمين ، و تطير بهما فى العالمين .

إنه لا تغنى السيوف الصارمة ، و العقول الراجحة . فى الرق و العبودية فتيلا ، و لا تتحطم سلاسل العبودية و أصفاد الذل و الصغار إلا بطعم الايمان و ذوق اليقين .

من الذى يستطيع أن يقدر قوة المؤمن و صولته ؟ إن نظرة منه و التفاتة تكفى لتغيير المقادير ، وقلب الأوضاع ، وهل الولاية و الصلاح والغلبة والسلطان ، و علم الأسماء و سعة الادراك ، إلا تفسيراً « لكلمة الايمان » .

و لكن البصيرة الابراهيمية لا تتأتى بسهولة و لا توهب مجاناً ، فكم من الأهواء و الأطماع تختفى فى مسارب النفس و تكون لها اعشاشاً و أوكاراً .

ألا ! إن التمييز بين السيد والمسود ، و الحاكم و المحكوم دمار للانسانية وهدر لكرامتها ، فاحذروا أيها الجبابرة الطغاة ، فان بطش ربكم لشديد و إن عاقبة هذا الجور لوخيمة .

ومهما كان من شئ ، خلق من نار أو طين ، فان حقيقته واحدة ، فلو قطعت قلب الذرة التائهة فى الفضاء ، لسالت دماء البدر المنير .

ألا ! إن اليقين المحكم الجازم ، و العمل المستمر الحاسم ، و محبة الرسول الأعظم ، فاتح الشعوب والأمم ﷺ ، هى السيوف المسلولة بأيدى الرجال الأبطال فى معركة الحياة .

ماذا ينبغى أن يتحلى به الرجل ؟ قلب سليم ، و نبع صاف ، و دم فائر ، و نظرة عفيفة ، و نفس قلقة ، و لوعة طموحة .

أنت - أيها المسلم - سر « كن فيكون » فانكشف على نفسك قبل أن تنكشف على غيرك ، وبح يسرك لسرك ، و كن أمين « الذات » و ترجمان الرب ، لقد





قطع الهوى و الطمع بنى آدم إرباً إرباً ، و مزقهم شر ممزق ، فكن أنت - أيها المسلم - نغمة الأخوة الحانية ، و لسان الحب البليغ .

ما هذه التفرقة البغيضة بين هندى و خراسانى ، و إيرانى و أفغانى ، فيا ملتزم الساحل و اللاجئ إلى الشاطئ ، اقفز بنفسك فى خضم البحر فلا تحدك حدود ، ولا تغلك قيود ، لقد يرى على جناحيك غار اللون و النسل و الوطن ، فرفرف بجناحيك يا طائر الحرم قبل أن تحلق فى الفضاء وانفض عنك هذا الغبار .

اصبر - أيها الجاهل - اغوار « الذات » وانزل فى الأعماق فانها سر الحياة ، و ارفع عن نفسك نير الصباح و المساء ، و حطم قيود الزمن ، و كن خالداً سرمداً أبداً .

إذا صادفتك معركة الحياة فكن لها حديداً صلباً ، و إذا غازلتك ليلة الحب فكن لها حريراً ناعماً ، شق لك الطريق فى اليباب القفار ، و حطم الجبال بسيلك العرم و تيارك العنيف ، و إن اعترضتك حديقة فى الطريق فناغمها بجدولك الجميل المنساب الذى له خرير يسر النفوس و يبهر الألباب .

إن علمك وحبك لا يعرفان الثغور والحدود ، ولا يعتريهما الزوال والفناء ، و ليس فى قيثارة الكون أغنية أحلى منك .

لا يزال الانسان إلى يومنا هذا فريسة بائسة فى يد الملوكية العاتية ، يالهول هذا الواقع المرير أن يفترس الانسان بنى جلدته ، وأعضاء أسرته ، إن بريق الحضارة الغربية يخلب الأبصار ويعمش العيون ، ولكنه - والله - صناعة مزورة بفصوص مزورة ، إن العقل والذكاء الذى يتباهى به عقلاء الغرب و فلاسفته ليس إلا سيفاً قاطعاً فى مخالب الشره و الهوى و العدوان ، و لا يمكن أن تقوم فى العالم مدنية محكمة البنيان بالحيلة والدهاء إذا كان أساسها على حب المال والنهامة بالمادة .

و إن هذا الانسان الذى خلق من طين ، ليس بطبيعته نوراً و لا ناراً ، وإن حياته بعمله وجده وكفاحه ، فاما إلى طريق الجنة وإما إلى طريق النار.

علم البلابل دروس التغريد ، و انفخ فى الطيور الخفة و النشاط ، و افتح أكمام الزهور و الرياحين ، فأنت نسيم السحر ، و نفحة الروضة الندية .

لقد التهبت جمرة الحب و النخوة فى آسيا كرة ثانية ، و أصبحت الأرض حلبة للفرسان من الشعب التركى المجيد ، و الأباة الشم ذوى الهمة القعساء و النظر البعيد » .

فدت نفسى و ما ملكت يمينى فوارس صدقت فيهم ظنونى
فوارس لا يملون المنايا إذا دارت رحى الحرب الزبون (١)

(١) ختمنا المقال الأخير ببيتين لشاعر حماسى هو أبو الغول الطهوى ، أبدى الدكتور محمد إقبال إعجابه بهما أمام المؤلف لأنهما يدلان على واقعية العرب و حب الفروسية .



# الدّعوة الإسلامية

★★★

# الايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده

سماحة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقية الحسيني
رئيس المجلس الأعلى لشئون الفتوى والدعوة باندونيسيا

كان بنو النضير حلفاء الخزرج ، وكانوا يجاورون المدينة التى هاجر إليها الرسول ﷺ ، و كان بينهم و بين المسلمين تعاهد على الأمان و حرية التدين ، ولكنهم لم يلبثوا أن دفعهم الحنق والحسد من انتصارات المسلمين على كفار قريش إلى أن نكثوا أيمانهم ونقضوا عهدهم مع المسلمين ، و تجلى ذلك فى تآمرهم على قتل الرسول بالقاء صخرة عليه وهو جالس فيما بينهم ، وفى ديارهم ، فألهمه الله ما أخفوا من الغدر و ما بيتوا من الخيانة ، فأخذ النبى ﷺ يحتاط لنفسه و لمن معه من أصحابه ، و رأى أن الحزم ، وهو يكون دولة ، و ينشر ديناً ، و يدعو الناس إلى رسالة ، يقضى بسرعة الضرب على أيدى من يعرفهم بالغدر و الخيانة ، و يعرفهم بالشر و الافساد ، رأى ذلك حرصاً منه على الأمن و السلام و صمم على تطهير المدينة منهم ، حتى يأمن جانب فتنتهم ، فطلب خروجهم منها ، و أوعز المنافقون إليهم بالبقاء و عصيان الأمر ، و قالوا لهم : لا تخرجوا ، و سنقاتل معكم وندافع عنكم ، و لا نطيع فيكم أحداً أبداً .

استمعوا إلى رأى المنافقين ، و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، و امتنعوا عن الخروج ، فحاصرهم جيش الايمان فى حصونهم التى ظنوا أنها مانعتهم ، و تخلى عنهم المنافقون وتم جلاؤهم عن المدينة ، و نزل فريق منهم بخيبر ، وكان على رأس





هذا الفريق رئيس يدبر أمره هو « أبو رافع سلام بن أبى الحقيق » ، و كان أبو رافع هذا ذا ثروة طائلة ، فأخذ يستميل بها القلوب ، ويستهوى بها النفوس ، ويؤلب بها على الرسول و صحبه حتى يضطرب فى المدينة حبل الأمن عليهم ، و تشتعل نار العداوة و البغضاء بين سكانها وتنفصم عرى وحدتهم ويفسد عهد تآخيهم ، وعندئذ تتهيأ له الفرص لما يريد من شر و إفساد .

أدرك الرسول ﷺ كل ذلك بنافذ فكرته و بعد سياسته ، فندب له خمسة من أبطال المؤمنين ، و كلهم من الخزرج حلفاء بنى النضير ، و أمر عليهم منهم رجلا جلداً ، و شاباً قوياً ، تذوب نفسه فى إيمانه و هو « عبد الله بن عتيك » ، و أوصاهم الرسول بألا يقتلوا امرأة و لا وليداً ، و خرجوا إلى خيبر ، تدفعهم قوة الايمان إلى التضحية بالنفس فى سبيل الله ، وفى مكمن قريب من حصن أبى رافع ، المليئ بالعدد و العدد ، المحاط بأسوار من الحديد و النار ، جلس الخمسة يتشاورون فى الأمر ، كيف ينفذون إليه ، و ماذا هم صانعون فى مناعة الحصن ، و فى بطولة حراسة ، و خبرتهم بالحروب ، وفى أن الحراس يلهون مع صاحبهم طول الليل ، و لا يتركونه إلا فى الهزيع الأخير منه .

و بينما هم يتحدثون بمثل هذه المثبطات ليرسلوا طريق الخلاص وطريق القيام بالواجب الذى حملوه من الرسول وعاهدوا أنفسهم عليه إذ صاح فيهم البطل المؤمن رئيسهم « عبد الله بن عتيك » : دعكم من ذلكم كله ، و لتكن فى حراسته جميع شياطين الأرض ، فانا قاتلوه إن شاء الله ، لقد آمنا بالله و رسوله و آمنا بأن أبا رافع عدو الله و رسوله ، وقد اشترى الله منا النفوس و الأموال بأن لنا الجنة ، فاجلسوا مكانكم وخذوا حذركم ، و انطلق عبد الله إلى الحصن ، انطلق إلى فريسته مجرداً من كل شيئ إلا سيفه و إيمانه ، انطلق كالصاعقة يرسلها رب السماء ، القوى

الايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده

القاهر ، فلا تعرف غير مهمتها التى أرسلت إليها ، و استطاع عبد الله أن ينفذ إلى داخل الحصن رغم الأسوار و الحراس ، و اتخذ له مكمناً قريباً من الباب الأول ، و ظل فيه حتى نام الحراس و هدأت الأنفاس، فنهض من مكمنه، وأخذ المفاتيح من جانب البواب ، و أخذ يفتح بها الأبواب باباً باباً ، و كلما فتح باباً أغلقه من الداخل حتى انتهى إلى أبى رافع ، وهنا تفكر فى وصية الرسول « لا تقتلوا ولداً و لا امرأة » و خاف أن يكون مع أبى رافع وليد أو زوجة أحد ، فنادى يا أبا رافع ، و على صوت الاجابة أهوى بسيفه فلم يغن شيئاً ، فعرفت امرأته صاحب الصوت ، فقالت بصوت مضطرب ، هذا صوت ابن عتيك ، فقال لها أبو رافع : ثكلتك أمك ، وأين منا الآن ابن عتيك ؟ فعاد عبد الله للنداء مرة ثانية ، مغيراً صوته ، قائلا : ما هذا الصوت الذى نسمعه يا أبا رافع موهما أنه أحد حراسه، فصاح به وقال لأمك الويل ، أين أنت ورجل فى البيت يضربنى بالسيف ، و على الصوت ضرب عبد الله أخرى ، و كانت كالأولى فلم تغن شيئاً ، و لبث عبد الله قليلا ، ثم أقبل عليه بنفسه ثالثة كالمغيث ، فوجده مستلقياً على ظهره ، فوضع السيف فى بطنه و لم ينزعه حتى سمع صوت العظام و هى تتحطم وكانت القاضية ، و خرج عبد الله و نور إيمانه يهديه إلى الباب الخارجى .

و بينما هو يقفز الدرج إذ انزلقت إحدى رجليه ، فانكسرت فعصبها بعمامته حتى وصل إلى أصحابه وهم جلوس فى مكانهم ، فزف إليهم البشرى ، ثم انتهوا إلى رسول الله ﷺ و حدثوه فأشرق وجهه ، وطابت نفسه ، وقال لعبد الله : ابسط رجلك ، فمسحها عليه السلام بيده الكريمة ، قال عبد الله : فكأنها والله لم تصب طول حياتها بسوء ، ولهى والله أقوى رجلى ، و بذلك انكدرت شمس أبى رافع ، و طوى سجل حياته ، ولم ينفعه ماله الذى جمع و عدد ، و لم يغن عنه ماله وما





كسب ، و كفى الله رسوله و المؤمنين شره .

و هكذا كانت البطولة التى غرسها الايمان فى قلوب المؤمنين الأولين ، ثم نمت فيهم شجرتها ، و أنضج ثمرتها تعليم القرآن و إرشاده و آياته الحكيمة .

و إذا كان الايمان هو الذى غرس شجرة البطولة فى قلوب المؤمنين السالفين ، و القرآن هو الذى نماها و أنضج ثمرتها ، فالايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده فى كل عصر و فى كل مكان ، و لا تضن به الرحمة الالهية الكريمة على النفوس المستعدة ، و القلوب الحية التى تدرك سر الايمان و تدرك عزة المؤمنين ، و سواء فى ذلك السابقون و اللاحقون ، و الأولون و الآخرون .

و القرآن الذى كان لآياته الأثر الواضح فى تطهير نفوس الأولين من الجبن و الخور وضعف العزيمة ، و تحليتها بالشجاعة و الاقدام و التضحية فى سبيل ابتغاء مرضاة الله ، هو القرآن الذى نتلوه اليوم و نتدبره ، و قوته و أثره فى نفوس الآخرين ، هى قوته وأثره فى نفوس الأولين ، متى خلص الايمان وقوى الاستعداد ، و تجردت القلوب من الأهواء و المطامع ، و طهرت من الغايات و الشهوات .

جاء القرآن و هدفه إصلاح العالم ، و الارشاد إلى الصراط المستقيم صراط الأمن و السلام ، صراط تركيز الحق و العدالة ، صراط العمل المنتج ، صراط العزة الرفيعة و الحياة الطيبة ، و ربط كل ذلك بروح الشجاعة فى الحق ، وروح التضحية فى سبيل الاصلاح و التطهير ، وفى سبيل هذا يقول « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة و الانجيل و القرآن » (التوبة ١١١) .

و يقول « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ( النساء ٧٨ ) و يقول :

الايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان » (النساء ٧٦) .

و لعل ما هيأ الله للأمة الاسلامية اليوم على أيدى المؤمنين من أبنائها الذين عاهدوا الله على تخليصها من المفاسد ، و تطهيرها من المظالم والسير بها إلى صراطه المستقيم ، صراط العزة و المجد .

لعل هذا من أوضح المثل الأعلى على أن الايمان له فى اللاحقين ، و أثره فى السابقين ، و على أن القرآن هو معلم الانسانية و هاديها و مرشدها فى كل عصر وأمة ، « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » (الاسراء ٩) فلنتخذه المرشد الذى لا يضل و القائد الذى لا ينحرف ، و لنرتقب بعد ذلك ما وعد الله المؤمنين من نصرة و عزة .

« و الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ، إنا لا نضيع أجر المصلحين »

( الأعراف ١٨٠ ) .



# مبادىء فى الأدب و الدعوة

((٨))

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى
أستاذ بكلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
قسم الدعوة والدراسات العليا - بمكة المكرمة

(٥)

## منشورات فى عناصر الجمال الأدبى :

### ★ أولا - الأسلوب البيانى :

من عناصر الجمال الأدبى فى الكلام ملاءمة أسلوبه البيانى للأمور التالية :

ألف - للهدف العام من الكلام .

ب - للمضمون الفكرى فى الموضوع العام الذى يجرى فيه الكلام ، و فى الفكرة الخاصة التى يتحدث عنها .

ج - لوضع المخاطب و حالته الفكرية و النفسية و الاجتماعية .

د - للمناخ النفسى العام الذى يلقى فيه ، أو يوجه له ، فالمناخات النفسية كثيرة ، و لكل منها أسلوب بيانى يلائمه .

و للتوصل إلى الملاءمة المطلوبة التى هى عنصر مهم جداً من عناصر الجمال الأدبى لا بد من ملاحظة الأمور التالية بعناية و دقة :

١- ملاحظة حال المخاطبين أو الذين يوجه لهم الكلام ، وذلك بصفة عامة . و يدخل فى هذا ملاحظة بيئتهم العامة ، و مفاهيمهم السائدة بينهم .

٢ـ ملاحظة الحال النفسية و الفكرية و الاجتماعية التى يكون عليها المخاطبون بصفة عامة .

ويدخل فى هذا ملاحظة حالات السلم والحرب والأمن والخوف، وسعة الرزق و الجوع ، و النصر و الهزيمة و الايمان و الكفر و النفاق ، و الطمع واليأس ، و المسرة والحزن و الصفاء والكدر ، و نحو ذلك من الأحوال النفسية الخاصة ، التى يستدعى كل منها ما يلائمه من أساليب البيان .

و يدخل فى هذا أيضاً ملاحظة حالات الذكاء ، و الغباء ، و طمأنينة الفكر و اضطرابه ، و العلم و الجهل ، و نحو ذلك من الأحوال الفكرية التى يستدعى كل منها ما يلائمه من أساليب البيان .

و يدخل فى هذا أخيراً ملاحظة الحالات الاجتماعية ، كالبداوة و التحضر ، و الرفعة والضعة ، و القوة و الضعف ، و القيادة و الانقياد ، و نحو ذلك من الأحوال الاجتماعية التى يستدعى كل منها ما يلائمه من أساليب البيان .

٣ـ ملاحظة الظرفين الزمانى والمكانى اللذين يقال فيهما أو يعد لهما الكلام .

فمن الأساليب البيانية ما يلائم ظرفاً من الظروف الزمانية أو المكانية ، فى حين أنه قد لا يلائم ظرفاً آخر .

إن ما يلائم فى مواسم الأعياد، قد لا يلائم فى أوقات التحريض على الجهاد، و ما يلائم فى مكان الفرح لا يلائم فى مكان الترح ، و ما يلائم فى مواطن تأدية النسك قد لا يلائم فى أسواق البيع و الشراء ، و كذلك العكس ، و قس على هذه المتخالفات .

٤ـ ملاحظة المناخ النفسى العام ، فالمناخات النفسية كثيرة ، و لكل منها أسلوب بيانى يلائمه .





و من أمثلة المناخات النفسية : المناخ الخطابى، المناخ الحربى، المناخ العاطفى، مناخ السفر ، مناخ الحضر ، مناخ الخوف ، مناخ الطمع ، مناخ القلق ، مناخ الهدوء و السكينة ، مناخ الغضب ، مناخ الرضا ، مناخ التربية و التعليم ، مناخ الموعظة و الارشاد ، مناخ الخصومة و الجدل ، مناخ الطلب و الاستجداء، مناخ الدعاء ، و هكذا إلى مناخات كثيرة أخرى .

★ الشرح :

من المعلوم أن المتكلم الحكيم لا بد أن يكون ذا هدف من كلامه ، وللوصول إلى الهدف المقصود من القول أساليب بيانية كثيرة ، ولكل هدف أساليب تناسبه.

و ملاءمة الأسلوب البيانى للهدف من الكلام هى فيما أرى ركن أساسى و جوهرى لارتفاع مستوى الكلام الأدبى البليغ .

* فحين يكون غرض الكلام مثلا أن يحدث تأثيراً إقناعياً ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر إقناعاً و تأثيراً فى هذا المجال ، هو الأكثر أدباً ، و الأرفع منزلة فى هذه الحالة .

* و حين يكون غرض الكلام أن يحدث انفعالا حماسياً ، و يستثير خلق الشجاعة والبسالة والاقدام، يكون الأسلوب البيانى الأكثر إثارة للحماسة واستثارة للبسالة و الشجاعة و الاقدام هو الأكثر أدباً ، و الأرفع منزلة فى هذه الحالة .

* و حين يكون غرض الكلام أن يثير الغضب أو يحدث الغيظ ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر إثارة للغضب أو إحداثاً للغيظ، هو الأكثر أدباً . والأرفع منزلة فى هذه الحالة .

فمن أرفع الأدب فى هذا المجال قول الله فى شأن المنافقين الذين إذا خلوا عضوا أناملهم غيظاً من المؤمنين « قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور » (١١٩ آل عمران / ٣) .

و قول الله تعالى بشأن المشركين الذين يكرهون ظهور الاسلام و انتصاره فى سورة ( الصف ٦١ ) :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون (٩) »

و لكن الاسلام قد عزل السباب و الشتائم عن أدبه ، و أوصى المسلمين بذلك ، فقال الله تعالى فى سورة (الأنعام) :

« ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم (١٠٨) »

كما عزل عن أدبه ما يسمى بالأدب المكشوف أو أدب الفراش ، و ستر القرآن عورات هذا المجال بالكنايات و العمومات « أو لامستم النساء » .

« زين للناس حب الشهوات من النساء » « و قد أفضى بعضكم إلى بعض » « من قبل أن تمسوهن » « من قبل أن يتماسا » « ما لم تمسوهن » « فلما تغشاها » « هن لباس لكم و أنتم لباس لهن »

* و حين يكون غرض الكلام تحقير من يوجه الكلام ضده ، أو السخرية منه ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً ، والأرفع منزلة فى هذه الحالة ، بشرط أن لا يعكس الأثر على موجه الكلام .

* و حين يكون غرض الكلام أن يستعطف من يوجه له ، فيحرك لديه عاطفة الشفقة أو الرحمة ، أو يحرك لديه خلق الجود ، أو نحو ذلك ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً ، و الأرفع منزلة فى هذه الحالة .

* و حين يكون غرض الكلام التودد والتحبب لمن يوجه له الكلام ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً والأرفع منزلة فى هذه الحالة .





* وحين يكون غرض الكلام استرضاء من يوجه له الكلام صراحة أوضمناً ، فى دافع من دوافع نفسه ، كالكبر ، أو العجب بالنفس ، فى جمال ، أو علم ، أو حسب ، أو نسب ، أو مكانة اجتماعية ، أو قدرة إدارية ، أو حكمة أو حنكة ، أو غير ذلك ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً و الأرفع منزلة فى هذه الحالة .

و هكذا فى سائر أغراض الكلام .

ولكل غرض من أغراض الكلام أساليب تناسبه ، فما يصلح فى مجال الحماسة لايصلح فى مجال الاقناع ، و ما يحلو فى الخطابة لا يحسن فى مقام التعزية ، و ما يحسن فى الجدل لايحسن فى مقام الاعتذار ، و ما يلائم بث الوجد ، قد لا يلائم استجداء الرفد ، و ما يناسب المدح قد لا يناسب الهجاء .

و ذوق الأديب البليغ البارع يحس بوجوه الملاءمة أو عدمها بين أساليب الكلام و بين الأهداف منه ، فيتحرى أفضل الأساليب ملاءمة للهدف الذى يقصده من كلامه .

و لاغرو أن بعض الأساليب الملائمة للهدف أكثر ملاءمة و أعظم تأثيراً من بعض .

ثم لكل صنف من أصناف المخاطبين ، و لكل حال من أحوالهم الفكرية و النفسية و الاجتماعية ، أساليب ملائمة ، و أساليب غير ملائمة ، و على المتكلم البليغ أن ينظر فى صنف من يريد توجيه كلامه له ، و أن ينظر فى حالته الفكرية و النفسية و الاجتماعية ، و يحسن اختيار الأسلوب الكلامى الذى يلائمه ويؤثر فيه فرداً كان أو جماعة .

فمن أصناف الناس ، عامة وخاصة ، و جاهلون و علماء ، و أغبياء وأذكياء ،

و دهماء و أمراء ، و بداة جفاة و متحضرون ، و أهل حلم و عقل ، و أهل خفة و طيش ، و منهم من يملك من طريق عاطفته ، و منهم من يملك من طريق عقله .

و هكذا تختلف أصناف الناس اختلافاً كثيراً ، و لكل صنف منهم أساليب من القول تلائمه ، و تكون أكثر تأثيراً فيه من أساليب أخرى .

و نظير اختلاف الناس اختلاف أحوالهم الفكرية و النفسية و الاجتماعية ، فما يلائم الانسان وهو هادىء الفكر ، قد لا يلائمه وهو مشوش الفكر مضطربه ، و ما يلائمه و هو فى حالة الرضا ، قد لا يلائمه و هو فى حالة الغضب ، و ما يلائمه و هو فقير ذليل قد لا يلائمه و هو فى سعة من المال و عز ، و ما يصلح له من الخطاب و هو وحده قد لا يصلح له و هو بين الناس .

وهكذا إلى سائر اختلاف الأحوال ، ولكل حال أساليب من القول مناسبة ، و بعضها أكثر مناسبة و ملاءمة و تأثيراً من بعض .

وفى هذا المجال الذى تختلف فيه أهداف الكلام ، وتختلف فيه أصناف المخاطبين . و تختلف فيه أحوالهم ، تتفاوت مراتب البلغاء و البيانيين .

★ ما هو المراد من الأسلوب البيانى ؟

قد لا نستطيع حصر الأساليب البيانية وإن حاولنا ذلك ، و لكننا نستطيع توضيح المراد من الأسلوب البيانى بذكر طائفة من الأساليب الكلامية التى إذا كانت ملائمة للغرض العام من الكلام ، والوضع العام للمخاطب ، والحال الخاص له ، والمناخ النفسى العام ، كانت أسلوباً بيانياً مرتقياً فى معارج البلاغة الراقية والأدب الرفيع .

★ فمن الأساليب الكلامية ما يلى :

ألف - أسلوب العرض المباشر الصريح للفكرة المراد الاعلام بها .





ب - أسلوب العرض غير المباشر ، الذى يعتمد فيه على مقدار ذكاء المخاطب ، و يدخل فى أسلوب العرض غير المباشر التعريض والتلميح ، ومعاريض الأقوال ، و الاشارة الخفية ، و فحوى الكلام ، و لهذا الأسلوب صور كثيرة جداً .

ج - أسلوب الاطناب وعرض الفكرة مبسطة موضحة من كل جوانبها ، ولهذا الأسلوب مراتب و صور كثيرة ، و هذا الأسلوب يناسب أصنافاً من الناس ، و أغراضاً معينة من الكلام ، و أحوالا خاصة للخاطبين .

د - أسلوب الايجاز و الاختصار ، و لهذا الأسلوب أيضاً مراتب و صور كثيرة وأسلوب الايجاز والاختصار يناسب أصنافاً من الناس ، كالأذكياء ، والأمراء ، و أهدافاً معينة من الكلام ، و أحوالا خاصة للخاطبين .

هـ - أسلوب الترغيب ، و له مراتب و صور كثيرة ، و هو فى الغالب يلائم معظم النفوس الانسانية ، لما أودع الله فيها من مطامع .

و - أسلوب الترهيب ، و له أيضاً مراتب و صور ، و هو كأسلوب الترغيب يلائم فى الغالب معظم النفوس الانسانية ، لما أودع الله فيها من حذر و خوف .

ز - أسلوب العنف و القسوة ، و هو يلائم بعض الناس و فى بعض الأحوال .

ح - أسلوب الرقة و اللين .

ط - أسلوب الاثارة للعواطف و الانفعالات ، و كثيراً ما يكون هذا الأسلوب ناقماً و مجدياً فى الحماسة و الخطابة .

ى - أسلوب الاقناع الفكرى الهادىء .

ك - أسلوب الجدل .

ل ـ أسلوب الكتابة التقنينية و الكتابة العلمية المحررة ، و المحددة للمقاصد بنصوص بعيدة عن الاحتمالات الأخرى .

و هكذا تختلف أساليب الكلام ، و كل منها يناسب أهدافاً معينة ، وأصنافاً معينة من الناس ، و أحوالا خاصة للخاطبين ، و مناخات نفسية عامة ، وقد يجتمع عدد من أساليب الكلام فى كلام واحد ، حينما لا تكون متنافية ، أو يلائم بعضها بعضـاً

★ مثـال :

و لتقريب فكرة اختلاف الأساليب البيانية التى يتوخى منها تحقيق الغرض من الكلام ، و يراعى فيها أوضاع المخاطبين و أحوالهم ، نضرب المثال التالى :

نضع فى هذا المثال مطلباً من المطالب التى قد يراد الاعلام بها ، بغية تحقيقها ، ثم ننظر إلى طائفة من الأساليب الكلامية التى يمكن أن يتوصل بها إلى الاعلام بالمطلوب .

و هنا لابد أن نرى من الأساليب ما هو ساذج صريح ، يتناول الطلب مباشرة ، ثم نرى من الأساليب ما يدل على المطلوب دلالة غير مباشرة ، و يعتمد فيها على ذكاء المخاطب و قدرته على إدراك المطلوب ، من خلال إشارات القول و معـاريضـه .

و من المسلم به أنه كلما كان المخاطب أكثر ذكاء و رغبة بتلبية الطلب ، كان إخفاء الاشارة إلى الطلب فى أسلوب القول الدال عليه لدى مخاطبته أعلى منزلة من الناحية البيانية ، وأكثر بلاغة ، هذا فى غير النصوص التى يقصد منها تثبيت أحكام بعيدة عن الاحتمال الذى قد يفهم منه غير المراد .

و هنا تتكاثر الأساليب التى تشير فى خفاء إلى المطلوب ، و بعضها أرقى من





بعض ، أو أعذب و أحلى ، أو أبدع أو أكثر نفعا و تأثيراً .

و لنفرض أن عدداً من الناس كل واحد منهم يريد الحصول على كأس ماء يروى ظمأه ، وهم متفاوتون فى قدراتهم البيانية ، وحاول كل واحد منهم الاعلام بما يريد .

أما الساذج منهم فيأمر أمراً مباشراً باحضار كأس الماء الذى يريد ، بطريقة لا لين فيها و لا تطرية و لا حلية ، و قد يكون هذا الأسلوب هو الأبلغ فى مخاطبة بعض الناس ، و فى بعض الأحوال و الأوضاع ، لا سيما فى طلب الأكبر من الأصغر ، فالأسلوب البيانى الأبلغ حينئذ هو الطلب بالأمر المباشر ، والاوامر العسكرية من القادة إلى الجنود قد لا ينفع فيها مثل هذا الأسلوب المباشر الجاف ، لمقتضيات التدريب على الانضباط العسكرى ، و كذلك شأن القرارات و المراسيم و الأوامر التى توجهها سلطات الحكم ، و من هذا الباب التكاليف الشرعية التى فيها أوامر و نواه ، مثل : « أقيموا الصلاة ، وآتو الزكاة ، وافعلو الخير ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا » ومع ذلك فاننا نلاحظ معظم التكاليف الشرعية تقترن بنظرية الترغيب و الترهيب و بيان الحكمة و التمهيد بالمقدمات ، و التلطف بالنداء التكريمى ، مثل : « يا أيها الذين آمنوا » ومثل « يا عبادى » وترتقى من فوق الأمر المباشر الجاف أساليب الاعلام بالطلب ، فيأتى أسلوب الطلب المقترن بما يشعر بتكريم المخاطب ، و من أمثلة ذلك فى موضوع طلب كأس الماء « من فضلك أعطنى كأس ماء »

ثم يأتى فوقه أسلوب الشكر على تحقيق المطلوب قبل تحقيقه ، و من أمثلة ذلك : « أشكرك على كأس الماء الذى ستقدمه لى »

ثم يأتى من فوق ذلك أسلوب التلميح والتعريض ، ولهذا الأسلوب صور كثيرة ، و درجات بعضها أرقى و أعذب من بعض ، و من أمثلة هذا الأسلوب :

١- ماؤكم عذب لا يشبع منه الشاربون .

٢- الحر شديد يورث الظمأ .

٣- طعامكم طيب و لذيذ أكثرنا منه فالهب الأكباد .

وهكذا من أمثلة المعاريض التى لا تحصر ،

ألسنا نلاحظ أن الهدف المطلوب تحقيقه واحد فى كل الأساليب السابقة ، إلا أن الأساليب البيانية للاعلام بالهدف قد تفاوتت تفاوتاً كثيراً .

و مع تفاوت الأساليب البيانية ، وارتقاء بعضها فوق بعض ، تؤكد أنه ربما كان الأدنى منها أصلح و أجدى من الأساليب التى هى أرقى ، مع بعض المخاطبين ، أو فى أوضاع و أحوال خاصة ، أو فى موضوعات معينة ، أو بالنسبة إلى أهداف خاصة من الكلام . وعندئذ يكون الأدنى فى أسلوبه البيانى هو الأبلغ لتحقيق الهدف ، كشأن أساليب التربية .

و من أجل ذلك لا بد من النظر إلى الأسلوب البيانى و مرتبته من جهة ، و إلى ما يقتضيه الهدف و وضع المخاطب و حاله من جهة أخرى .

ومن هذا يتبين لنا أن الأساليب البيانية تختلف أنواعها اختلافاً كثيراً ، وأن الأهداف من الكلام ، و أوضاع المخاطبين و أحوالهم ، و الموضوعات العامة التى يجرى فيها الكلام ، و المضامين الفكرية التى يراد الدلالة عليها و المناخات النفسية و الاجتماعية التى يوجه فيها الكلام ، تختلف اختلافاً كثيراً أيضاً .

والبليغ حقاً هو الذى يحسن الملاءمة بين أسلوبه البيانى ، وبين الهدف الذى يقصده والموضوع الذى يتحدث فيه ، ووضع المخاطب الذى يوجه له كلامه ، وحاله التى هو عليها ، وسائر الأمور التى يمكن أن يلائمها أسلوب من الكلام ولا يلائمها أسلوب آخر .

و لا بد من الاشارة هنا إلى أن هذه الملاءمة فى الأسلوب البيانى ، ليست هى كل شئ ، فى تحديد الجمال الأدبى ، بل توجد عناصر جمالية أخرى كثيرة ، قد يشتمل عليها الكلام أو لا يشتمل عليها مع مراعاة الملاءمة فى الأسلوب البيانى .





و نظرة فى مختلف الأساليب البيانية تجعلنا نمر على أسلوب العرض المباشر الجاف ، فأسلوب العرض المباشر المغلف بما يلطفه و يخفف جفافه ، و نمر على الأسلوب الساذج البسيط ، فما هو قريب منه ، وقد يلطف العرض المباشر التشبيه و التمثيل ، والمحسنات اللفظية ، وأنواع من الزينة المعنوية ، ودعم الخبر بالمؤكدات و الشواهد ، و دعم الطلب بالمبررات و الترغيب و الترهيب .

ثم نمر على أساليب العرض غير المباشر ، التى يدخل فيها التعريض ، والتلميح و الكناية ، و القصة ، و ضرب الأمثال ، و ترك صيغ الطلب إلى صيغ الخبر الذى يراد منه الطلب ، إلى غير ذلك من الأساليب البيانية الكثيرة التى لا يعرض فيها المطلوب بشكل مباشر ، وقد يقترن أسلوب العرض غير المباشر بما يؤكد الخبر الذى تضمنه الكلام ، أو بما يحرض على تحقيق المطلوب فى الكلام ، كالترغيب والترهيب .

و أصحاب الذوق البيانى الرفيع يحسنون استخدام الفنون البلاغية التى يذكرها علماء البلاغة ، وفنوناً أخرى يبتكرونها ، فالفنون البيانية لا تحصر ، والفكر الانسانى مؤهل لأن يبتكر فيها بدائع وروائع جديدة ، تهديه إلى خصائص الابداع الفنى التى وهبها الله للانسان .

و الدعاة إلى الله مطالبون بتدريب أنفسهم لاكتساب هذا الذوق البيانى ، ولاكتساب المهارة فى صناعة الكلام الرفيع ، ثم هم مطالبون بتسخير أدبهم فى دعوتهم إلى سبيل ربهم ، اقتداء بنبيهم ورسولهم محمد ﷺ ، و اقتباساً من المنهج القرآنى فى بلاغته العظيمة .

-:([يتبع]):-

# دراسات وأبحاث

★★★

## معتقدات المسيحيين فى شأن سيدنا المسيح عليه السلام

بقلم ‡ فضيلة الأستاذ محمد تقى العثمانى
رئيس تحرير مجلة « البلاغ » الشهرية ، كراتشى (باكستان)
تعريب ‡ الأستاذ نور عالم الندوى

خلاصة المعتقدات المسيحية فيما يتعلق بسيدنا المسيح عليه السلام أن كلمة الله (أى أقنوم الابن) قد حلت من أجل سعادة البشر وفلاحه ، فى الكيان البشرى لسيدنا المسيح ، و ظل الأقنوم الالهى حالا فى جسم المسيح ما كان فى الدنيا ، إلى أن صلبته اليهود ، فانفصل عنه الأقنوم الالهى ، ثم قام من قبره فى اليوم الثالث ، و تراءى للحواريين ، و أسدى إليهم بنصائح ، ثم ذهب إلى السماء ، و لما صلبته اليهود ، كان ذلك كفارة لذنب المؤمنين بالمسيحية ، ذلك الذى ركب مع طبيعتهم من أجل ما أخطأ آدم .

و هذه العقيدة ، لها أربعة عناصر رئيسية :

١- عقيدة الحلول و التجسد (Incarnation)

٢- عقيدة المصلوبية (Crucifixion)

٣- عقيدة الانبعاث أو الحياة الثانية (Resurrection)

٤- عقيدة الافتداء و الكفارة (Redemption)

و سنتحدث عن كل منها بشئ من التفصيل .

عقيدة الحلول و التجسد :

جاءت عقيدة الحلول و التجسد أولا فى إنجيل « يوحنا » يستهل مؤلف هذا الانجيل ترجمة سيدنا المسيح بالكلمات الآتية :

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، و كان الكلمة الله ، هذا كان البدء عند الله » (١) .

و يستطرد قائلا :

« و الكلمة صار جسداً ، و حل بيننا ، و رأينا مجده مجداً ، كما لوحيد من الأب مملوءة نعمة و حقاً » (٢) .

و قد أسلفنا أن « الكلام » فى المسيحية عبارة عن أقنوم الابن الالهى ، وهو إله مستقل ، إذاً فكان معنى ما قاله « يوحنا » : أن صفة الله الكلامية ـ أى أقنوم الابن ـ قد تجسدت فى صورة المسيح عليه السلام .

يقول « مارس ريلتون » و هو يتناول هذه القضية بالشرح و التفسير :

« تقول العقيدة الكاثوليكية : إن الذات التى كانت إلهاً تحولت إنساناً ، بدون أن تفارق صفات الألوهية ، أى أنها فرضت على نفسها كيفيات كائننا نحن البشر ، الذى يتقيد بقيود الزمان و المكان ، و مكثت بين أظهرنا مدة » (٣) .

و كان روح القدس ـ فيما تعتقد المسيحية ـ هو القوة الموحدة لأقنوم « الابن » مع الكائن البشرى ليسوع المسيح عليه السلام ، و قد أسلفنا أن المراد من روح القدس فى المسيحية هو صفة الحب الالهية ، و على ذلك فكان معنى هذه العقيدة أن الله بما كان يحب عباده ، فأرسل أقنوم « الابن » إلى الدنيا عن طريق

(١) يوحنا ، ج ١ ص ١-٢ .
(٢) يوحنا ، ج ١ ص ١٤ .
(٣) Studies in christian doctrine, P. 28.





حبه ، حتى يكون كفارة لذنب الانسان (١) .

و الذى يجب أن يكون ملحوظاً بهذه المناسبة بصفة خاصة ، هو أن حلول « الابن » فى المسيح عليه السلام عند المسيحيين ، لا يعنى أن « الابن » تحول إنساناً بعد مفارقته الألوهية ، و إنما يعنى أنه كان من ذى قبل إلهاً فقط ، فصار الآن بالاضافة إلى ذلك إنساناً كذلك .

و إذاً فقد كان المسيح ـ كما تقرر هذه العقيدة ـ إلهاً و إنساناً فى وقت واحد ، و معاً ، و ذلك ما بينه « ألفرد ، إى ، جاروى » بما يأتى :

« إنه (أى المسيح عليه السلام) كان فى الواقع إلهاً و إنساناً معاً ، و عن إنكار إحدى مكانتيه هاتين ، أو إنكار اتحادهما فى شخصه ، نشأت شتى النظريات المبتدعة ، و قد أيد « اتهانى شيس » هذه النظرية بكل قوة ، ضد « آريوس » فالنظرية المقبولة إذاً : أن شخصية المسيح الواحدة قد اجتمعت فيها ماهيتان » (٢) .

و كان المسيح عليه السلام بالقياس إلى بشريته أقل درجة من الله ، و من ثم قال ذات مرة :

« لأن أبى أعظم منى » (٣) .

و بالقياس إلى ذلك كان يتكيف بجميع الكيفيات البشرية .

أما بالقياس إلى ألوهيته فهو يساوى « الأب » رتبة ، جاء فى إنجيل « يوحنا » :

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .
(٢) دائرة معارف الأديان والأخلاق ، ج ٣ ص ٥٨٦ ، مقالة « المسيحية »
(٣) و الآية بكاملها : « سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى إليكم ، لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الأب ، لأن أبى أعظم منى » ( يوحنا ، ١٤ : ٢٨ ) .

« أنا و الأب واحد » (١) .

و يضيف « آجستين » قائلا :

« و على هذا القياس ، فقد خلق الانسان بصفته إلهاً ، و كان مخلوقاً بصفته إنساناً » (٢) .

بل و يقول « آجستين » :

« بما أن الله لم يتمثل فى صورة العبد بحيث يتجرد من صفته التى يساوى فيها « الأب » ... .. فلكل واحد أن يعرف أن يسوع المسيح على صفته الالهية أفضل من نفسه ، و كذلك فعلى صفته البشرية أدنى من نفسه » (٣) .

وهناك سؤال يطرح نفسه بهذه المناسبة ، هو أنه كيف يمكن أن يكون شخص واحد إلهاً وإنساناً ، و خالقاً ومخلوقاً ، و أفضل وأدنى ؟ و قد ظل هذا السؤال هو الآخر مثل عقيدة التثليث موضع الجدال و النقاش عبر قرون ، و وضع على الاجابة عليه من الكتب ما أنشأ علماً مستقلا باسم علم المسيحية » (Christology).

أما الكنيسة الكاثوليكية ، فانها تستدل و تتمسك فى الاجابة على هذا السؤال فى الأغلب بمختلف النصوص فى إنجيل « يوحنا » ، فكأن هذه العقيدة ثابتة عندها الدلائل المأثورة (٤) ، أما العقل ، فانها من أجل تقريبه إليه وإلى الفهم البشرى ، تقدم أمثلة ، فمن قائل يقول : إن هذا الاتحاد بين الله و الانسان كان كنقش فى

(١) يوحنا ، ١٠ : ٣٠ .

(٢) آجستين ، ج ٢ ، ص ٦٧٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) و ليراجع للتفصيل فى هذه الدلائل المأثورة و النقد المشبع لها ، الباب الثالث من كتاب « إظهار الحق » للعلامة المحقق رحمة الله الكيرانوى .





خاتم (١) ، ومن قائل يقول : إن مثله كمثل صورة إنسان تنعكس فى المرآة . فكما أن النقش فى الخاتم يعنى وجود شخصين فى كيان واحد : الخاتم و النقش ، و كما أن انعكاس الصورة فى المرآة يتضمن وجود حقيقتين فى شئ واحد : المرآة والصورة المنعكسة ، فكذلك حل أقنوم « الابن » فى شخص المسيح عليه السلام البشرى ، فكانت شخصيته تتضمن حقيقتين : حقيقة الاله و حقيقة البشر ، غير أن هذا الاستدلال لم ينل القبول لدى معظم المفكرين المسيحيين (٢) .

و سنعرض فيما يلى بايجاز صورة للمحاولات التى قام بها مفكرون مسيحيون من مختلف الطبقات من أجل حل هذه القضية .

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢٢ ص ٤٧٩ ، مقالة « التثليث » ط :. ١٩٥ م .

(٢) و ذلك أن أدنى تأمل يكفى لتبين ما فى هذا الاستدلال - الذى تمسكت به الكنيسة الكاثوليكية الرومية - من سطحية و وهن ، لأن النقش فى الخاتم - رغم اتصاله الظاهر بالخاتم - شئ مستقل عن الخاتم تماماً ، و لذلك فلا يقول أحد : إن الخاتم هو النقش ، أو أن النقش هو الخاتم ، و على العكس من ذلك فان المسيحية تعتقد أن المسيح عليه السلام بعد حلول أقنوم « الابن » فيه كان إلهاً ، و أن الله كان قد تحول إنساناً . . و كذلك فان صورة زيد المنعكسة فى المرآة شئ مستقل عن المرآة ، و من ثم فلا يقول أحد : إن المرآة هى زيد ، أو أن زيداً هو المرآة ، و بالعكس من ذلك فان المسيحية تقول : إن المسيح كان إلهاً ، و أن الله كان إنساناً ، إذاً فان هذا المثال لا ينطبق على عقيدة الحلول والتجسد بشكل من الأشكال .

★ الذين رفضوا أن يؤمنوا بألوهية المسيح: كان منهم فرقة صرحت - حينما رأت منافذ

الاجابة على هذا السؤال مسدودة - بخطأ القول بألوهية المسيح ، و نصت على أن المسيح لم يكن إلا إنساناً ، فلا ينشأ هذا السؤال المطروح للاجابة أصلا .

و قد أفاض الأستاذ « جامس ماك كينون » (James mackinon) فى كتابه القيم (From christ to constantine) فى الحديث عن أولئك المفكرين ، و كان من رواد هذا الفكر - فيما يقول « ماك كينون » - « بولس الشمشاطى » (١) (Paul samosata) و « لوسيان » (٢) ، يقول « ماك كينون » :

« كانا يريان أن يسوع المسيح كان مخلوقاً ، ولكن الفارق بين وجهتى نظرهما أن « بولس » يرى أنه كان مجرد إنسان ، تجلى فيه العقل الالهى غير الشخصى ، و أما عند « لوسيان » و أتباع مدرسته ، فقد كان كائناً سماوياً ، أخرجه الله من العدم إلى حيز الوجود ، وتجلى فيه العقل الالهى فى كيفيته الشخصيته ، فكان يتمثل جسد بشرياً لدى الحلول ، و لكن روحه لم تكن بشرية ، و كانت مهمته أن

(١) قد ذكره العلامة ابن حزم باسم « بولس الشمشاطى » ( الملل و النحل ، ج ١ ، ص ٤٨ ) و كان بطريرك « انطاكيا » فيما بين الفترة ٢٦٠ - ٢٧٢م ( انظر دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٧ ص ٣٩٨ ) .

(٢) « لوسيان » ( المتوفى ٣١٢م ) كان من العلماء المسيحيين المعروفين ، قضى حياته كلهـا فى الرهبنـة ، كانت نظرياته بين نظريات كل من بولس الشمشاطى ، و آريوس ، ولد فى « شمشاطة » لكنه أمضى معظم حياته فى « انطاكيا » (دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٤ ، ص ٤٦٠ . مقالة « لوسيان » ) .





يقوم بتبليغ رسالة « الأب » غير أنه لم يكن الاله على الاطلاق ، و لا القديم الخالد » (١) .

فكأن « بولس » قد رفض عقيدة الحلول والتجسد أصلا ، و ذهب إلى أنه معنى حلول الله فى شخص المسيح أن الله قد حباه عقلا خاصاً ، أما « لوسيان » فانه لم ينكر عقيدة الحلول ، إنه أقر بأن صفة العلم الالهية قد حلت فى المسيح ، غير أن هذا الحلول لم يكن بحيث يجعل المسيح إلهاً ، خالقاً ، قديماً ، خالداً ، و رغم هذا الحلول ظل الله هو الخالق ، و المسيح مخلوقاً كالسابق تماماً .

وانطلاقاً من التفاعل مع نظريات « بولس » و « لوسيان » قد خاض المفكر الشهير « آريوس » (Arius) فى القرن الرابع المسيحى ، معركة حامية ضد الكنيسة المعاصرة ، مما أحدث ضجة كبيرة وصرخة مدوية فى العالم المسيحى ، وكانت خلاصة أفكاره فى هذا الخصوص - فيما يروى « ماك كينون » بألفاظه - كما يلى :

« كان « آريوس » يضغط على أن الله وحده هو القديم الخالد ، ولا يشاركه فى ذلك أحد ، إنه خلق « الابن » بعد أن لم يكن ، ولذلك فان « الابن » ليس قديماً ، و ليس الله هو « الأب » منذ الأزل ، و ذلك أنه قد مضى حين من الدهر لم يكن فيه « الابن » فى حيز الوجود ، إن « الابن » يحمل حقيقة مستقلة عن « الأب » و بالامكان أن تطرأ عليه تغيرات ، و ليس إلهاً فى حقيقة المعنى ، غير أنه يحمل قابلية « التكامل » و هو فعلا مخلوق مكتمل ، عقل أى عقل يوجد فى الجسم الانسانى الحقيقى ، وعلى ذلك فان المسيح عنده يحمل ألوهية ثانوية ، وقل - إذا شئت - إنه شبه إله (Demi God) يحمل حظاً من صفات كل من الألوهية و البشرية ، و لكنه ليس إلهاً فى المعنى الاسمى » (٢) .

(١) From christ to constatine, LONDON, 1936 .

(٢) المصدر نفسه .

فكأن المسيح كانت حقيقته عنده كما قال الشاعر الفارسى :

« خلاصة القول إنك أقدس موجود بعد الله »

و قد نالت هذه النظريات قبولا غير عادى ، و لا سيما فى محيط الكنائس الشرقية ، فى العصر الذى عرض فيه آريوس هذه النظريات ، حتى ادعى « آريوس » بدوره أن الكنائس الشرقية كلها من تباعها .

غير أن الكنائس المركزية فى الاسكندرية و انطاكيا ، كان يسيطر عليها آنذاك « اليغزاندر » و « أغناطيوس » و من إليهما ، الذين كانوا لا يرضون للقضية حلا يمس الوهية المسيح عليه السلام ، ويصيب المفهوم المتوارث لعقيدة الحلول بشئ ، يدل على ذلك أن « قسطنطين » لما عقد فى ٣٢٥م مجلساً فى « نيقيا » لم يقتصر على نفى العقائد والأفكار الآريوسية نفياً باتاً ، بل أجلى آريوس عن وطنه كذلك .

★ الفرقة البولسية : ثم ظهرت فى القرن الخامس المسيحى « الفرقة البولسية » (Paulicians) التى تقدمت فى شأن المسيح برأى متوسط ، إنها صرحت بأن المسيح لم يكن إلهاً ، وإنما كان ملكاً من الملائكة ، أرسله الله فى الدنيا من أجل إصلاحها ، فولد من بطن مريم متمثلا صورة إنسان ، و بما أن الله قد كساه جلالا خاصاً من عنده فدعى « ابن الله »

و قد كانت هذه الفرقة صاحبة النفوذ فى الأغلب فى آسيا الصغرى ومناطق « أرمينيا » (١) لكنها لم تحظ بقبول عام ، لأنه لم يكن هناك دليل مأثور على كون المسيح ملكاً .

(١) راجع للاطلاع على تفاصيل معتقدات و أفكار هذه الفرقة مقالة (Paulicians) فى دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٧ ص ٣٩٧ .





★ الفرقة النسطورية : ثم نهضت فى أواسط القرن الخامس الميلادى « الفرقة النسطورية » كان زعيمها « نسطوريوس » (Nestorius) - المتوفى ٤٥١م - الذى جاء من أجل حل القضية بفلسفة جديدة ، و هى أن جميع المشكلات الذى تعترض عقيدة الحلول و التجسد ، إنما ترجع إلى أن المسيح عليه السلام اعتبر شخصية ، ثم أثبتت لها حقيقتان : بشرية و إلهية ، فذهب نسطوريوس » إلى أن المسيح إله حقاً ، و إنسان حقاً كذلك ، غير أنه لا يصح أنه كان « شخصية » جمعت هاتين الحقيقتين ، بل الحقيقة أن ذات المسيح كانت تحمل شخصيتين : شخصية « الابن » و شخصية المسيح ، أو شخصية « ابن الله » وشخصية « ابن آدم » ، و الابن إله محض بينما المسيح إنسان محض .

كانت فلسفة الكنيسة الكاثوليكيه الرومية : « شخصية و حقيقتان » و بالعكس من ذلك كانت فلسفة « نسطوريوس » : « شخصيتان و حقيقتان » .. و فى ٤٣١م عقد فى مدينة « أفسس » (Ephese) مجمع من جميع الكنائس ، حرمت فيه هذه النظريات ، تحريماً قاطعاً ، وقوبل « نسطوريوس » من أجل ذلك بعقوبات الجلاء والأسر ، و اعتبر أتباعه مبتدعين ، ورغم ذلك فان هذه الفرقة لا تزال تتواجد حتى اليوم ، و خلاصة الجريمة التى أدين بها هو ، هى - فيما يقول الدكتور « بيطون باكر » (Bethune baker) - كما يلى :

« إنه فرق بين الحقيقة الالهية و الحقيقة الانسانية لسيدنا تفريقاً وزعه بين موجودين مستقلين .. .. إنه اعتبر « كلمة الله » شخصية مستقلة عن يسوع ، واعتبر « ابن الله » شخصية مستقلة عن ابن آدم » (١) .

(١) ويرى بعض المحققين المتأخرين - مثلا « بيطون باكر » - أن هذه التهمة قد وجهت إليه دون ما دليل ، و أن أفكاره و معتقداته لم تفهم على ما

★ الفرقة اليعقوبية : و ظهرت فى القرن السادس المسيحى « الفرقة اليعقوبية » (Jacobite church) و لا يزال يتواجد نفوذها فى الشام و العراق ، كان زعيمها يعقوب البرذعانى ـ (Jacabus baradeus ـ وكان مذهبه على عكس مذهب « آريوس » و « نسطوريوس » ، فكان نسطوريوس قد أثبت فى كائن المسيح عليه السلام « شخصيتين » بجانب « حقيقتين » و زعم يعقوب أن المسيح لم يكن شخصية واحدة فقط ، بل كان كذلك ذا حقيقة واحدة ، و هى الألوهية ، إنه لم يكن إلا إلهاً ، و إن كان يتراءى لنا فى هيئة إنسان ، و قد جاء بيان نظرية هذه الفرقة فى « دائرة معارف العائلة العالمية » بما يلى :

« إنهم يثبتون أن الحقيقة الالهية و الحقيقة البشرية قد اتحدتا فى المسيح بحيث صارتا حقيقة واحدة » (١) .

و قد كانت هناك فرق أخرى اتخذت هذه النظرية بالاضافة إلى يعقوب البرذعانى ، و تسمى هذه الفرق « بالفرق المونوفيسية » (Monophysites) وكانت على قدم و ساق حتى القرن السابع المسيحى (٢) .

---

هى عليه . لكن البر وفيسور « مارس ريلتون » رد على هذا الاعتراض ، وأيد حكم مجلس « أفسس » انظر Studies in christian doctrine, P. 102.

(١) « دائرة معارف العائلة العالمية » ج ١٠ ، ص ٢٦٣٨ ، ط : « نيو يورك » ١٩٥٧م .

(٢) و ذلك هو عصر فجر الاسلام ، و كانت هذه الفرق فى هذا العصر أهم مواضيع النقاش فى العالم المسيحى ، و قامت من أجلها اضطرابات كبيرة فى الشام وما إليها ، (انظر دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٥ ص ٧٣٠ ، ** مقالة (Monophysites) مما يدل على أن القرآن الكريم ربما يكون قد أشار فى الآية الكريمة الآتية إلى هاتى الفرق « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم » .





★ التأويل الأخير :

يتضح من البحث المسرود أعلاه ، ما كان من المفكرين المسيحيين من محاولات و مجهودات ، فى سبيل تفسير و شرح عقيدة الحلول و التجسد ، و تقريبها إلى العقل و الفهم ، و قد رأيت أن هذه المحاولات كلها جاءت حائدة عن معتقدات الكنيسة الكاثوليكية الرومية المركزية ، ولذلك فقد اعتبر المسئولون عن الكنيسة المركزية بدورهم ذلك « بدعة » أما الاجابة على أصل السؤال ، فقد ظل « الوجعيون » يقولون قولا واحداً ، إن عقيدة الحلول هى الأخرى سر مكنون يجب الايمان به ولا يمكن فهمه ( انظر دائرة المعارف البريطانية ) .

غير أن ذلك لم يكن ليستسيغه ذهن جاد ، فجاء فى العهد الأخير تأويل آخر من أجل تطبيق عقيدة الحلول مع العقل ، و خصيصة هذا التأويل أنه يؤيد مذهب الكنيسة الكاثوليكية الرومية الأصيل ، و يحاول أن يبقيه على ما هو عليه دونما مساس به ، و إن كان هذا التأويل قدمه بعض المفكرين القدامى كذلك ، و لكن البر و فيسور « مارس ريلتون » قد تحدث عنه فى إيضاح ، يقول :

« و مثل هذا الحلول ـ الذى تقول به الكنيسة الكاثوليكية الرومية ـ يمكن فهمه على الوجه الأكمل ، إذا لوحظ أن الطريق إلى ذلك كان قد تمهد عند ما خلق الانسان الأول ـ آدم ـ شبيهاً بالله (١) إن ذلك يدل دلالة واضحة على أن الله

---

** مقالة (Monophysites) مما يدل على أن القرآن الكريم ربما يكون قد أشار فى الآية الكريمة الآتية إلى هاتى الفرق « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم » .

(١) يشير « مارس ريلتون » إلى الجملة التى جاءت فى الكتاب المقدس « فخلق الله الانسان على صورته » (التكوين ج ١ ص ٢٧) .

كان يوجد فيه منذ الأزل عنصر للانسانية ، وهذا العنصر الانسانى هو الذى عكس فى هيكل بنى آدم ، المخلوق ، على صورة ناقصة ، و إذاً فان الانسانية الصحيحة هى إنسانية الله ، و إن كانت الانسانية المحضة لا توجد إلا فى الآدمى ، لأنه مخلوق يحمل إنسانية ناقصة ، ان تتمثل فى صورة الله ، مهما طالت مدة مكوث الألوهية فى داخلهـــا » .

« و على ذلك فان الله لما تمثل إنساناً ، فان الانسانية التى اختارها لم تكن إنسانية مخلوقة توجد فينا ، و إنما كانت إنسانية حقيقية ، لا يملكها إلا الله وحده و قد خلقنا أشباهاً لها .. .. و أخيراً فان ذلك يعنى أن إنسانية يسوع المسيح لم تكن تلك التى نحسها فى وجودنا ، و إنما كانت إنسانية الله ، التى تختلف عن إنسانيتنا اختلاف الخالق عن المخلوق » (١) .

و جملة القول إن شخصية المسيح و إن كانت قد اجتمعت فيها ـ كما يقرر هذا التأويل الأخير ـ الحقيقة الالهية والحقيقة الانسانية كلتاهما ، غير أن الانسانية كانت هى الانسانية الالهية ، و لم تكن الانسانية الآدمية ، فلا مانع من تواجدهما معاً و فى وقت واحد .

ذلك هو التأويل الذى هو أكثر معقولية ، و أنفع نتيجة ، و أمنع من الاعتراضات ، ولا يصيب العقيدة الكاثوليكية بضرر كذلك ، غير أن العقلاء يمكنهم أن يدركوا مدى ثقل هذا التأويل (٢) .

---

(١) Studies in christain doctrine, P.P. 133, 144 .

(٢) و هذا التأويل يقوم على افتراض أن الله توجد فيه الانسانية الكاملة منذ الأزل ، و لكن هناك سؤال يتطلب الجواب بالحاح ، هو أنه ما هى هذه « الانسانية الالهية » ؟ هل هى تحمل تلك العوارض البشرية ، التى توجد





فينا نحن البشر ؟ من جوع و عطش ، و سرور و حزن ، و ما إليه ، أم لا ؟ لئن كانت تحمل هذه العوارض فمعنى ذلك أن الله ـ ومعاذ الله ـ يصيبه الجوع و العطش ، و التعب و الراحة ، و تعرض له جميع عوارض الحدوث ، ومن البين أن ذلك لا يصح بداهة ، وإن الكنيسة الكاثوليكية بدورها لا تعتقد ذلك ، و لئن كانت « الانسانية الالهية » منزهة من هذه العوارض ، فلما كانت هذه العوارض توجد فى المسيح عليه السلام ، لماذا كان يصاب بالجوع و العطش ، و لماذا كان يعرض له السرور و الحزن ، ولماذا كان قد صاح من شدة الألم ، عند الصلب ـ فيما تزعم النصارى ـ؟ على حين أن إنسانيته ـ فيما يقول « مارس ريلتون » ـ لم تكن مثل إنسانيتنا ؟ و إنمـــا كانت « الانسانية الالهية » التى هى منزهة من هذه العوارض كلها !.

ثم إن هذا التأويل يعرب عن معنى عجيب لكون الانسان مخلوقاً مشابها لله ، و هو أن عنصراً للانسانية كان موجوداً فى الله منذ الأزل ، و أن صورة من هذه الانسانية قد عكست فى الانسان ـ على حين إن ألفاظ كتاب التكوين تلك لئن كانت إلهامية فى الواقع ، فانها لا تعنى على الأكثر إلا أن الله قد منح الانسان العلم و الشعور ، و علمه التميز بين الخير والشر ، وحباه القدرة على فعل المعروف والمنكر ، والعلماء الكاثوليك بدورهم ظلوا يفسرون هذه العقيدة منذ قديم الزمان هذا التفسير ، ليس غير ، يقول « سانت آجستين » فى البـاب الثـالث و العشرين من الكتاب الثانى عشر من تأليفه الشهير (The city of God) :

ثم خلق الله الانسان مشابها له ، لأنه خلق للانسان روحاً أودعت فيها مواهب العقل و الفهم ، حتى يأتى أفضل من هواء الأرض و جميع مخلوقات البحر ، التى لم توهب هذه الأشياء » (آجستين ج ٢ ص ٢٠٥) .

★ عقيدة المصلوبية : (Crucificion)

وعقيدة المسيحية الثانية فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام ، أن اليهود صلبته بأمر من « بيلاطس البنطى » بما حصلت منه وفاته .

و الشئ الذى يجب أن يكون ملحوظاً بصفة خاصة بهذه المناسبة فى شأن هذه العقيدة ، هو أن إجراء عملية الصلب لم يتم - على ما تراه معظم الفرق المسيحية - على أقنوم الابن الذى هو إله عندهم ، و إنما تمت هذه العملية على المظهر الانسانى لأقنوم الابن ، وهو المسيح عليه السلام ، الذى ليس إلهاً عندهم فى حقيقته الانسانية ، و إنما هو مخلوق (١) .

(١) وقصة صلب المسيح عليه السلام سردتها الأناجيل الأربعة الموجودة ، لكن القرآن الكريم قد نفى ذلك بكل قوة ، و نماه إلى سوء الفهم ، و صرح بأن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء ، و ستدرك صدق تصريح القرآن إدراكا كاملا عند ما تقرأ الباب الثانى من هذا الكتاب ، أو تقرأ الباب الأول والباب الثانى من كتاب « إظهار الحق » لمولانا رحمة الله الكيرانوى ، فيتكشف الغبار عن حقيقة الأناجيل المتواجدة اليوم ، ولكن لابد من أن نشير ههنا إلى أن صدق و حقيقة القرآن الكريم تتضح عفواً مع تقدم المعلومات البشرية .. منذ قرون اكتشف نسخة إنجيل « برناباس » الذى بين فيه « برناباس » فى القول الصريح الواضح للغاية أن عيسى عليه السلام لم يصلب ، و إنما صلب مكانه « يهوداه الاسكريوتى » و قد ظل السادة المسيحيون يزعمون أن هذا الانجيل من تأليف مسلم ، غير أنه اكتشفت فى الأيام الأخيرة نسخة للانجيل معزوة إلى « بطرس » جاء فيها التصريح بأن المسيح عليه السلام رفع إلى السماء قبيل إجراء عملية الصلب ، ***





★ الصليب المقدس :

و بما أن صورة الصليب (✝) تحمل أهمية قصوى عند المسيحيين من أجل عقيدة المصلوبية ، فسوف لا تكون الاشارة إلى قصة ذلك خالية من الطرافة .

لم تكن هذه الصورة تحمل أهمية اجتماعية ما حتى القرن الرابع المسيحى ، و يحكى عن « قسطنطين » أنه رأى - وربما فى المنام - فى ٣١٢م - فى الأيام التى كان يحارب فيها أحد خصومه - فى السماء صورة الصليب ، ثم فى ٣٢٦م التقطت أمه « سانت هيلانة » فى مكان صليباً ، تزعم النصارى أنه هو الصليب الذى صلب عليه المسيح ، و إحياءاً لذكرى هذه القصة يحتفل المسيحيون فى ٣/ مايو كل عام ، بعيد باسم « عيد اكتشاف الصليب » ومن ثم تحولت صورة الصليب شعار (Symbol) المسيحية ، وعاد المسيحيون يستخدمونها فى كل قومتهم وقعدتهم ، وحلهم وترحالهم ، يقول العالم المسيحى الشهير « ترتوليان » .

« بمناسبة كل حل و ترحال ، و ذهاب ومجئ ، و خلع نعال ، واغتسال ،

*** وقد نقل مقالة إنجيل « بطرس » هذه « بلمان أستراتر » فى كتابه الشهير « الأناجيل الأربعة » (The four gospels) ص ٥ ، ط : ماك ملن نيو يورك ١٩٦١م .. و إن كان « استراتر » أوله بأن المراد من المسيح ههنا هو شخصيته الالهية ، و لكنه ليس هناك دليل على ذلك فى ألفاظ « بطرس » و إنما هناك ما يدل على خلافه ، حيث جاءت لبيان الرفع إلى السماء الصيغة المبنية للفعول (Passive voice) و إن « استراتر » نفسه نقل الكلمات الآتية ( He was taken off) مما يدل على أن رافعه كان غيره ، و من الواضح أنه لو كان المراد منه الله ، لقيل : إنه ارتفع إلى السماء ، أو أصعد فى السماء ، لأن الله لا يمكن أن يرفعه أحد .

و أكل ، و إيقاد شمع ، و نوم ، و جلوس ، وبالجملة بمناسبة كل حركة وسكون نصنع فوق حواجبنا صورة الصليب » (١) .

فما هو السبب فى كون الصليب مقدساً فى المسيحية؟ على حين أنه كان السبب فى إصابة المسيح عليه السلام - فيما يعتقدون - بالأذى ، و ما وجدنا إجابة على هذا السؤال فى كتابات أى عالم مسيحى ، ويبدو كأن قداسة الصليب ، ترجع إلى عقيدة « الكفارة » أعنى بما أن الصليب كان السبب عندهم فى التفكير و العفو عن ذنوبهم ، فلذلك يقدسونهم .

★ عقيدة الحياة الثانية : (Resurrection)

والعقيدة الثالثة فى شأن المسيح عليه السلام ، أنه قام من قبره فى اليوم الثالث بعد وفاته على الصليب ودفنه فى القبر ، ثم ذهب إلى السماء بعد ما أسدى إلى الحواريين تعليمات و إرشادات .

و قصة الحياة الثانية هذه مذكورة فى الأناجيل المعاصرة (٢) .

★★★

« يتبع »

---

(١) و هذا التاريخ فيما يتصل بالصليب ، مستفاد من دائرة المعارف البريطانية ، ج ٦ ، ص ٧٥٣ ، مقالة « الصليب » .

(٢) و قد تحدث العلامة رحمة الله الكيرانوى فى تفصيل و فى مواضع عديدة فى كتابه العظيم « إظهار الحق » عن هذه القصة ، وعدم استنادها إلى دليل . والتضارب الذى تتسم به ، كل ذلك بدلائل مسهبة لامعة ، وكذلك سرد بالمناسبة جميع التفاصيل المتصلة بهذه العقيدة ، فليراجع الكتاب .



# حركة الاستشراق فى ميزان العلم والتاريخ

محمد صدر الحسن الندوى

## تاريخ حركة الاستشراق :

أدرك الغرب فى الحروب الصليبية أنه لا يستطيع أن يقهر المسلمين سياسياً وعسكرياً فقد انتصر المسلمون فى كثير من المعارك ونشأت فيهم مقاومة ، وانتعشت روح التصدى و الصمود ، فبدأ الغرب يفكر فى وسائل أخرى للتغلب على المسلمين ، و اكتشف وسيلة النيل من الاسلام ، و من هنا نشأت حركة الاشتراق ، كانت الحروب الصليبية قد أشعلت نار العداوة و الشحناء بين المسيحيين و المسلمين ، فاضطر المسيحيون إلى دراسة الاسلام على أوسع نطاق ليتعرضوا للاسلام تمهيداً للغزو الفكرى ، يقول المستشرق بيكر : « إن هناك عداء من النصرانيين للاسلام بسبب أن الاسلام عند ما انتشر فى العصور الوسطى أقام سداً منيعاً فى وجه الاستعمار و انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها » .

لا يمكن أن نحدد زمان قيام حركة الاستشراق ، لأن دراسة الاسلام فى العصور الوسطى كانت فى نطاق محدود ، كانت هذه الجهود شخصية ، لكننا نجد فى التاريخ آثار هذه الجهود ، يقول الأستاذ عمر عودة الخطيب : « من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها وجدها وتثقفوا فى مدارسها ، و من أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى جربرت الذى انتخب بابا للكنيسة فى روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه فى معاهد الأندلس و عودته إلى بلاده ، وبطرس المحترم

١٠٩٢–١١٥٦م وجير أردى كريمون ١١١٤–١١٨٧م (١) .

رغم وجود بعض الآثار التى نقلناها فى السطور السالفة لا نستطيع أن نعتبرها حركة الاستشراق فى معناه الشامل ، بل نستطيع أن نسميها دراسة فردية للاسلام ، لذلك يقول الدكتور محمد البهى فى كتابه الشهير : « لكن هـذه المحاولات كانت شخصية أو جماعية محدودة ، لكن برزت بشكل أكثر شمولا فى بعض البلاد الأوروبية خلال القرن الثالث عشر الميلادى ، و يكاد الدارسون لتاريخ الاستشراق يجمعون على أن انتشاره ظهر بصفة جدية بعد فترة ما يسمى فى التاريخ الأوروبى « عهد الاصلاح الدينى (٢) .

يطلق لفظ الاستشراق كمصطلح علمى على دراسة اللغة العربية والاسلام خاصة و دراسة جميع ديانات الشرق و عاداته وجغرافيته و تقاليده و أشهر لغاته عامة ، و العدد الأكبر من المستشرقين أساقفة ، و عدد كبير منهم يهود ديانة و جنسا ، و أعجبنى فى حركة الاستشراق قول الأستاذ عرفان عبد الحميـــد و هو يقول : « الاستشراق كنهج عقلى تولد من أبوين غير شرعيين : التبشير الذى خطط له و الاستعمار الذى غذاه » (٣) .

★ دوافع الاشتراق :

إن المستشرقين الذين تصدوا لدراسة الاسلام و الاجادة فيها ، و أفنوا فيها أعمارهم كانت لهم دوافع دينية و علمية وسياسية و اقتصادية ، لكن الدافع الدينى التبشيرى كان غالباً عليهم وكان موقفهم موقف كره إزاء الاسلام ، يقول الأستاذ محمد أسد

(١) لمحات فى الثقافة الاسلامية ص ١٨٧ .

(٢) التفكير الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ٥٣٢ .

(٣) نظرات فى دراسة التاريخ الاسلامى للدكتور عبد الرحمن على الحجى ٣٥ .





فى كتابه : « إن موقف الأوروبى من الاسلام ليس موقف كره فى غير مبالاة فحسب ، كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان و الثقافات ، بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدور من التعصب الشـــديد ، و هذا الكره ليس عقليا فحسب ، و لكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية ، فيما يتعلق بهذين المذهبين ، بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير إلا أنها حالما تتجه إلى الاسلام يختل التوازن و يأخذ الميل العـــاطفى بالتسرب ، حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الاسلام .

و يظهر فى جميع بحوثهم - على الأكثر - كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى بل على أنه متهم يقف أمام قضاته ، إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصياً باجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطالب له مع شئ من الفتور اعتبار الأسباب المخففة .

و على الجملة فان طريقة الاستقراء و الاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى ، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون إليه مبدئياً ، و إذا تعذر عليهم الاختبار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمى من سوء القصـــد من غير أن ينسبوا قيمة إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر أى من قبل المسلمين أنفسهم » .

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للاسلام وللامور الاسلامية تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا ، و ليس ذلك قاصراً على بلد دون

آخر ، إنك تجده فى إنكلترا ، و ألمانيا ، فى الروسيـــة و فرنسا ، و فى إيطاليا وهولنده ، وبكلمة واحدة : فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحوالاسلام ، و يظهر أنهم ينتشون بشئ من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة - حقيقة أو خيالية - ينالون بها من الاسلام عن طريق النقد » (١) .

١- الدافع الدينى التبشيرى :

الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين هو الدافع الدينى ، فقد بدأه الرهبان والأساقفة الذين كان يهمم أن يطعنوا فى الاسلام ويحرفوا حقائقه الثابتة ، ويثبتوا بالدلائل الفارغة أن الاسلام دين لا يستحق الانتشار ، و شوهوا صورة المسلمين فى نظر الجماهير ، و أن المسلمين هم قوم لصوص وسفاكو دماء ، ويحثهم دينهم على الملذات الجسدية و يبعدهم عن كل سمو روحى .

و قد أحرزوا النجاح الملموس فى هذا الادعاء الكاذب ، و شوهدت آثاره فى المسلمين عامة ، و إلى هذه الحقيقة يشير المستشرق الانجليزى جب ( Gibb ) يقول فى كتابه ( إلى أين يتجه الاسلام ) « Whither Islam » :

« إنه قد يبدو للنظرة الأولى أن الجمهرة العظمى من المسلمين لم تتأثر بمؤثرات دينية ، وأن التفكير الدينى الاسلامى قد ظل وثيق الاتصال بأصوله الدينية التقليدية ، و لكن ذلك ليس هو الحقيقة كلها ، فالواقع أن التعاليم الدينية و مظاهرها عند أشد المسلمين محافظة على الدين وتمسكا به قد أخذت فى التحول ببطء خلال القرن الماضى ، فان دخول عناصر جديدة على الحياة الاسلامية يقتضى إبراز بعض تعليمات الدين و توجيه عناية أكبر لها و وضعها فى المكان الأول ، و وضع تعليمات أخرى فى مرتبة غير أساسية ، و إذا حدث هذا فمعناه : أن الموازين الدينيـــة

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٥٢ - ٥٤ .





و التعاليم الأخلاقية فى الاسلام آخذة فى التحول ، و أن هذا التحول يتجه نحو تقريبه من الموازين الغربية فى الأخلاق التى هى فى الوقت نفسه متمثلة فى التعاليم الأخلاقية للكنيسة المسيحية (١) .

٢- الدافع الاستعمارى السياسى .

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال البلدان الاسلامية ، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد فى كل شئونها من عقيدة و عادات و أخلاق و ثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها ، و إلى مواطن الضعف فيغتنموه ، و ذلك عن طريق التشكيك فى ما فى أيدينا من تراث إسلامى و من عقيدة و قيم أخلاقية .

يقول العلامة السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى مشيراً إلى هذا : « إن المستشرقين بصفة عامة كانوا رواد الدول الغربيـــة فى الشرق ، و من واجبهم أن يمدوها بموادهم العلمية ، و كانوا مصادر مؤكـــدة للغرب ، يطلع بها على تفاصيل و معلومات عن تقاليد الشعوب الشرقية و بلدان الشرق ، و عن طبيعتها ومعيشتها و لغاتها و آدابها ، حتى عواطفها و نفسياتهـا ، و ذلك ليتسنى للغرب أن يبسط نفوذه وسلطته فى الشرق (٢) .

و إذا نظرنا إلى خطتهم حول تطوير اللغـــة العربية فى صالح الاستعمار ، تأخذنا الدهشة ، انظروا إلى خطتهم .

« كان ماسينيون زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة فى العامية وبالحرف اللاتينى تحقيقاً لهدف الجملة الاستعمارية التصيرية التى ترمى إلى تقطيع أوصال العرب والمسلمين

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين ج٢ ص ١٩٩ .

(٢) الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية ص ١٩٤ .

لا يمكن أن يتم ما دام هناك لغة واحدة يتكلمها العرب، ويعبر بها العرب والمسلمون عن آرائهم ، وما دام هناك حرف عربى يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضى، فاذا استطـــاعوا حمل المسلمين على التخلى عن الحرف العربى و إحلال الحرف اللاتينى مكانه، انقطعت صلة العرب و المسلمين بالقرآن الكريم و تراثهم الاسلامى و ذخائرهم اللغوية و الأدبية و التاريخية و الفكرية ، وحينئذ يصبح العرب وحدات لغوية فكرية غير متعارفة ، ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل إخضاعها بجهد يسير ، ويسهل بعد ذلك صبغهم - على مراحل - بالنصرانية و جعلهم شعوبا تابعة للحضارة الغربية ، و يتحقق لدى الغربيين ما يؤملون من القضاء على الاسلام و المسلمين (١) .

و إلى أى مدى تأثرت اللغة العربية بجهودهم و محاولاتهم تقول الكاتبـــة المسلمة مريم جميلة :

« ولم تستثن اللغة العربية من هذه المعاملة القاسية ، فمنذ قرن كامل تقريباً ، يحاول المستشرقون الأوروبيون و الارساليات المسيحية أن تقنع الأدباء و العلمـاء فى البلاد أن يعاملوا مع اللغة العربية معاملة الصينين مع لغتهم ، هى أن تبدل لغة القرآن الأدبية الرشيقة و لغة الحديث ، و جميع خزينة الآداب الاسلامية باللهجات المحلية ، وقد أحرزوا بعض النجاح فى هذا المضمار ، فكان الكاتب القبطى الدكتور سلامه موسى و أنصاره و مؤيدوه فى مصر و فى البلاد الناطقـــة بالضاد ، رائد حركة العامية مقابل العربية الفصحى ، وكذلك طالبوا باستخدام اللغة اللاتينية بكل حرية و عمد لاستئصال شأفة التراث الاسلامى الأدبى و التاريخى كله ، كما حدث فى تركيا على يد ضيا كوكب و كمال أتاتورك (٢) .

٣- الدافع العلمى المتزن

إن لبعض المستشرقين دافعاً علمياً بحتاً ، إنهم يحـــاولون العثور على التعاليم

(١) لمحات فى الثقافة الاسلامية ص ١٩٣ .

(٢) Western Imperialism menaces muslims P. 32





الاسلامية والقيم الروحية والأخلاقية ، التى تسمو بالانسان وترقى شخصية المسلمين ، إنهم يتوخون أن يتعرفوا على التاريخ الاسلامى المجيد و التراث الاسلامى التليد ، و يبحثون عن الحضارة الاسلاميـــة فى مختلف عصورها بدافع علمى خالص ، لا يريدون تشويه صورة الاسلام ، بل يصورون الثقافة الاسلامية و الحضـارة الاسلامية فى صورتها الأصلية ، و يعتمدون على الكتب الاسلامية الموثوق بها كما فعل أرنولد فى كتابه « The preaching of Islam » .

٤- الدافع الاقتصادى الشخصى

إن كثيراً من المستشرقين آثروا ميدان الاستشراق بدافع اقتصادى ، وهذا لأن هذا الميدان هو خير سلاح للحصول على أموال طائلة و مناصب فخمة ، ونيل العزة والمجد ، وكسب قلوب الناس فى ستار الدفاع عن المسيحيين ، و إثبات تفوق الحضارة الغربية على الحضارات كلها ، و خاصة على الحضارة الاسلامية المستقلة .

يقول الدكتور مصطفى السباعى رحمـــه الله : « يبدو أن فريقاً من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية ، أو دخلوه هاربين عند ما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى ، أو دخلوه تخلصاً من مسئولياتهم الدينية وتعطيتهم لعجزهم الفكرى ، و أخيراً بحثاً عن لقمة العيش ، إذ أن التنافس فى هذا المجال أقل منه فى غيره من أبواب الرزق (١) .

إن هناك عاملا اقتصادياً للاستشراق يتخذه كثير من المثقفين كمهنة ناجحة ، و كثير من أصحاب المكتبات التجارية و القائمين عليهـا ، يشجعون نشر المؤلفات و الكتب التى تدور حول الاسلاميات و الشرقيات و يشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق نافقة فى أوروبا و آسيا (٢) .

(١) المستشرقون ما لهم و ما عليهم .

(٢) الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية ص ١٩٥ .

# أدب الصحوة الاسلامية

## (٢)

واضح رشيد الندوى

كانت العشرينات من القرن العشرين فترة حاسمة فى تاريخ العالم الاسلامى، فقد كانت القوميات تغزو الفكر فى الشرق لتفكيك تصور الخلافة الاسلامية، والحضارة الغربية تحل محل ما تبقى من الحضارات الاسلامية، ونظام التعليم و التربية، يحل محل نظام التعليم الشرقى، و قد عادت فى هذا العهد أفواج من المثقفين المسلمين فى الجامعات الغربيـــة ليحتلوا مناصب النفوذ و التأثير الفكرى فى العالم الاسلامى، وكان أول عمل قام به هؤلاء المثقفون الجدد الدعوة إلى التغريب، وحيث إن هذا العمل لا يمكن أن يتم إلا بالتشكيك فى العقائد الدينية، و المقررات التـاريخية، و إضعاف ثقة الأمة الاسلامية فى ثقافتها و احترامها للشخصيات الاسلاميـــة، والأسس الاجتماعية، شن هؤلاء الخريجون من المدرسة الأوربية، و فى مقدمتهم الأدباء و الكتاب المارونيون و أدباء المهاجر حملة شعواء على التراث، و التاريخ و الأدب، و اللغة، و كان من الغريب المدهش أنهم كانوا يدعون إلى القومية العربية، و يشنون حملة على حضارة العرب و تاريخهم و ثقافتهم و فى آن واحد كان هؤلاء الأدباء و الكتاب يهاجمون على الاسلام و حضـــارته فى الوقت الذى كانت أكبر قوة إسلاميـــة تحتضر، و كان المجتمع الاسلامى فى حالة انفكاك وتشتت، منهار القوى بسبب تداعى كيانه، و العواصف الهوجاء التى كان تهب من أوروبا، فسارت حملة علمية، و حضارية، و أدبية، و دينية، لزحزحة الثقة





فى الاسلام وصلاحيته لمسايرة الزمان، و لغرس تفوق الغرب فى القلوب والأذهان و الادعاء بأن غلبة الاسلام وانتشاره كان حادثة أو مصادفة، وأنه لم يعد يصلح لهذا الزمان، و لعبت الصحافة و وسائل الاعلام و أساتذة الجامعات و المدارس العصرية بدور حاسم فى إحداث هذا الانقلاب الفكرى.

و قد تولى المستشرقون فى هذا العصر دور الأستاذية، فى كل موضوع، وكانت أراءهم و بحوثهم المزعومة تنتشر فى العالم الاسلامى، و تقبل عليها النفوس باعتبارها بحوثاً موضوعية مجردة عن التحزب أو التحيز، رغم أنها كانت تخضع للنزعات الصليبية و الاستعمارية والعنصرية، و كانت بعيدة كل البعد عن الموضوعية، و راجت هذه البحوث الميالة الحاقدة للاسلام، وقامت الأقلام المتغربة، و أقلام الصليبيين بدعاية واسعة للاشاده و التنويه بهـــذه البحوث و التحقيقات فى الأدب و التاريخ، و الثقافة و حتى العلوم الشرعية و النقلية كالتفسير و الحديث والفقه.

كتب هؤلاء المستشرقون فى التفسير، و قالوا الكثير و الكثير جداً ضد التفسير، والذين كتبوا عن الحديث أرادوا أن يثيروا الشبهات حول رواية الحديث مثل جولد زيهر و شاخت و غيرهما، وهذا بعينه هو ما حدث فى ميادين التاريخ الاسلامى و الفقه الاسلامى، فهم قـــد كتبوا فى هذين الميدانين و غايتهم، إلقاء الشبهات فى عقول المسلمين، و تقديم الاسلام إلى الغرب بالصورة التى لا تشجع الغربيين على الدخول فى الاسلام (١).

كان الأمير شكيب أرسلان ( ١٨٦٩ - ١٩٤٦م ) من الذين سبقوا إلى خطورة الموقف، فتصدى لرد هذه المزاعم، و إن حواشيه القوية، و تعليقـاته فى حاضر العالم الاسلامى و غابره، إن دلت على شئ فانما تدل على حرصه على

(١) مصطفى لطفى بيلجا - مجلة الفيصل.

حماية الدين الاسلامى ، و تاريخه ، و دوره فى إنقاذ البشرية ، و صلاحيته ، ليس للبقاء فحسب بل لقيادة العالم ، و قد قام فيه بدور عظيم ليس فى الدفاع عن الاسلام بل الهجوم على الغرب ، و صموده لمكافحة الغزو الفكرى .

بين أمير البيان شكيب أرسلان مواضع تدسيس أدعياء العلم فى الغرب ، و كشف عن جهلهم لأصول العربية ، و أن جهلهم قد أوقعهم فى أخطاء كثيرة ، فكتب يقول : فئة متحذلقة متفلسفة فى كل شئ مولعة بالنقض و هدم النظريات المقررة بدون داع إلى ذلك سوى الميل إلى الاطراف و الاتيان بشئ جديد » .

و يقول عن العرب المقلدين للغرب : « و فى الشرق متطعون لا يعجبهم إلا تقليد هذه الفئة من الأفرنج » .

كان التقليد للغرب و الميل إلى الحضارة الغربية ، وما كانت الحضارة الغربية تحمله معها من فساد فى الأخلاق و البدعة ، و الاستهانة بالقيم من المواضيع التى طرقها كاتب إسلامى آخر و هو مصطفى لطفى المنفلوطى ( ١٨٧٦ - ١٩٣٤م ) فنبه قومه لهذا الخطر فكتب يقول :

« أصبحت أعتقد أن مفاسد الأخلاق والمدنية الغربية شيئان متلازمان وتوأمان متلاصقان لا افتراق لأحدهما عن صاحبه إلا إذا افترقت نشوة الخمر عن مرارتها ، فكيف أتمناها لأمة هى أعز على من نفسى التى بين جنبى (١) .

وإن الجملة الأخيرة تكشف عن مدى حب المنفلوطى لأمته التى ينتمى إليها ، و ولائه لها ، و قد كان المنفلوطى أبياً غيوراً ، متحمساً للامة الاسلامية ، و على رأسها الأمة العربية ، فأحدث بأفكاره وأسلوبه دوياً فى عالم الأدب العربى ، وترك وراءه أثراً يذكر بحسن بيانه و اشراق ديباجته ، و إن هذه الغيرة ، و الحماسة

(١) النظرات ج ٣ .





و الانتماء إلى الأمة الاسلامية ، و الثورة على الحضارة الغربية قد دعت النقاد المارونيين إلى اتهامه بالرجعى فى الفكر ، والأسلوب ، و تشويه سمعته ، و التقليل من أهميته ، كما فعلوا بالنسبة للرافعى .

« فان المنفلوطى بحق مربى الجيل ، و قد خدم اللغة العربية و الاسلام ، و الأخلاق ، و خلق الجدية فى المجتمع العربى الذى كان يخطو خطوات واسعة إلى كونها أمة تلهو و تلعب على نغمات مزمار الغرب (١) .

كانت وسائل الغزو الفكرى تقوم التى استخدمها الاستعمار لغسل الدماغ باثارة الشبهات ، و عرض مشاكل حضارية بدعوى أن الاسلام و التصور الدينى للحياة ، لا يحمل حلا لها ، و أن الدين يحدث عقلية الجمود ، والحضارة المعاصرة الحرة عن القيم و الأخلاق ، حضارة سريعة الحركة تدهش الأمم ، و تحيها من الموات ، وتحدث تأثيراً واسعاً بتأييد الكتاب الذين تتلمذوا على الأساتذة الغربيين والمستشرقين الذين انتشروا فى العالم الاسلامى تنفذ خطتها تدعمهم الحكومات القائمة للدعوة إلى الانسلاخ من خصائص الحياة الشرقية ، و مطالب الدين و الأخلاق ، و إلى تقديس من تعتبره أوربا أبطال النهضة الأخيرة ، و الاقتداء بهم .

لقد كان التحدى للاسلام متنوعاً ، كان تحدياً على اللغة ، والأدب والثقافة ، و الأخلاق ، والاخاء الاسلامى ، فتصدى لمواجهة هذه التحديات كتاب إسلاميون و ركزوا اهتمامهم على مواضيع عصرهم .

كان فى مقدمة هؤلاء الكتاب الذين عاصروا عصر ترسيخ الحضارة الغربية وتقديسها فى أذهان ، و كافحوا الغزو فى ميدان الأدب و الصحافة ، مصطفى صادق الرافعى ( ١٨٨٠ - ١٩٣٧م ) شامى الأصل مصرى النشأة ، فقد كان عنيفاً فى

(١) الفنون الأدبية .

نقده للحضارة الغربية ، و نقد آراء الأدبا العرب المتفرنجين المقلدين ، فكان يرى أن الايمان محور الحياة و لا تتطور الحضارة الانسانية و لا الحيـاة الوطنية إلا بالتمسك بالعقيدة الصالحة التى تربط الأمة ، و الأخلاق الفاضلة .

يقول فى موضع : لا يذهبن عنك أن الرجل المؤمن القوى الايمان الممتلىء ثقة و يقيناً و وفاء وصدقا ، وعزما و إصراراً على فضيلته ، و ثباتاً على ما يلقى فى سبيلها ، لا يكون رجلا كالنـاس ، بل هو رجل الاستقلال الذى واجبه جزء فى طبيعته ، وغايته السامية لا تنفصل عنه وهو رجل صدق المبدأ ، وصدق الكلمة و صدق الأمل ، و صدق النزعة ، و هو الرجل الذى ينفجر فى التـاريخ ، كما احتاجت الحياة الوطنية إلى إطلاق قنابلها » .

و يقول عن اللغة العربية و أهميتها للعرب ، « ما ذلت لغة شعب إلا ذل ، ولا انحطت إلا كان أمره فى ذهاب و أياب ، و ليس فى العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها » .

و يقول عن نهضة العرب : إنها لا تقوم إلا على أساس وحيد و هو : إذا نهض الركنان الخـالدان ، الدين الاسلامى ، و اللغة العربية ، و ما عداهما فعسى أن لا تكون له قيمة فى حكم الزمن » (١) .

كانت هذه الجهود للوقاية من غزو الحضارة الغربية ، و آدابها ، و لإعادة الثقة فى التراث العربى ، و الحضارة الاسلامية ، و إعادة الأمة إلى مصادر العزة و الكرامة ، و دعوتها إلى الأصالة و الذاتية منتشرة يقوم بها أصحاب قلم من ذوى الغيرة والكرامة ، فيهم شعراء وكتاب ، حملوا الراية عالية ، فى الوقت الذى قصر

(١) وحى القلم





الزعماء الآخرون جهودهم على تحرير البلاد الاسلامية سياسياً ، فلم يكن يهمهم الفكر الغربى و سيطرته على الأذهان ، و ما يؤدى إليه من انقلاب فكرى يضمن بقـاء الاستعمار عملياً ، بل تقديس الاستعمار فكرياً .

وقد قامت فى البلاد الاسلامية نتيجة لحركات التحرير حكومات محلية ، لكن زمامها كان فى أيدى رجال الطبقة التى كانت قد نشأت فى مراكز التربية الغربية ، فآثرت لمقاليد الحكم أفراداً كانوا غرباء بذهنهم فى بلادهم .

فكانت مسئولية الدعاة إلى الاسلام و حضارته ، خطيرة فى هذه الظروف المتغيرة ، و اقتضت الظروف جهوداً مركزة تشمل العالم الاسلامى ، فقامت بفضل الله و رعايته ، حركات انخرط بسلكها كتاب و أدباء ، رفعوا كلمة الحق و كافحوا محاولة فصل المسلمين عن لغتهم و حضارتهم ، و الانقطاع عن علومهم ، و ناضلوا جهود أعداء الاسلام لتشتيت المسلمين إلى قوميات ، وشغلهم بنظم اقتصادية وسياسية نشأت فى ظروف خاصة فى أوروبا .

من الأسلوب الدفاعى إلى الأسلوب المهاجم و العمل المكثف .

كانت حركة الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله أقوى حركة فى التاريخ المعاصر ، فقد خلفت آثاراً لا تمحى عن الذهن ، و غيرت اتجاه الأمور ، و أثرت على العقلية السائدة . و انتقلت الدعوة الاسلامية بجهد العاملين فى عهدها من الدفاع إلى الهجوم ، و عرض الاسلام كالبديل الوحيد ، و كان لها تأثير محول على سائر الحركات العلمية والأدبية ، لأنها قامت بعمل التعبئة و التوعية ، و جمعت العاملين فى مختلف ميادين العمل راية الدعوة إلى الاسلام ، فانطلقت أفواج من العلماء والأدباء و رجال الاختصاص الآخرون ، ليمثلوا دورهم فى سبيل الدعوة بصراحة و قوة و عزم و وضوح رؤية .

كان أسلوب الدعاة الذين تأثروا بشخصية الشيخ حسن البنا و حركته أسلوباً مختلفاً عن المتقدمين، كان أسلوباً ملائماً للظروف المتغيرة، وكانت وسائل تأثيرهم متنوعة، إنهم دخلوا فى ميدان الصحافة والأدب والعلم بقوة وجرأة إيمانية، بنبوغهم فيها، و أثروا على الفكر، و اتسم أسلوبهم بالتحليل العلمى، و التأثير الأدبى، والواقعية فى البحث، فلم يكن أسلوبهم أسلوباً علمياً جافاً وجامداً ولا أسلوباً مائعاً خالياً عن الأصالة، وإنما كان أسلوبهم أسلوباً عربياً، يحمل روعة البيان العربى، و قوة الاقناع العلمى.

نجبت مدرسة الشيخ حسن البنا كتاباً، قاموا بتحليل الأوضاع و عرضوا الحلول الاسلامية، بدراسة، و بمعرفة للاوضاع.

برز فى هذا الصنف عدد من الكتاب بمؤلفاتهم المؤثرة فى مواضيع مختلفة، فى التفسير و الأدب، و النقد، و الاجتماع و السياسة، و الفن، و إن نظرة على مؤلفاتهم تدل على الشمول، و التنوع فى معالجة المسائل التى تخص بسائر الميادين، للتأثير على الفكر المعاصر، وإثارة الضمير فى العالم الاسلامى، وتحويل الاتجاه فى سائر الميادين إلى الاسلام، و العمل من أجل إعلاء كلمته، و إقرار نظامه، فنجد فى بعضها ثورة على الأوضاع ونجد فى البعض الآخر تصويراً وجدانيا، وفى مؤلفات معالجة لمشاكل الحياة، و مشاكل الحضارة، بواقعية وجدية و عرض للتاريخ الاسلامى فأغنوا المكتبة الاسلامية، بمؤلفات تقوم بتنشئة الأجيال القادمة.

و نقدم بعض مقتطفات لكتاب هذا العصر لنعرف التفكير السائد فى توجيه عمل الدعوة، بغرض إعادة الاسلام إلى مكانة القيادة.

يكشف سيد قطب وهو فى طليعة هؤلاء الكتاب أن طبيعة هذا الدين الغلبة، فانه دين حق، والحق يعلو، سواء توفرت له أسباب القوة أم لم تتوفر، فان هذه





الدعوة تتغلب على الصعاب، فيحث على الاجتهاد والعمل فى سبيل احقاق الحق.

«لم تكن الدعوة فى أول عهدها فى وضع أقوى ولا أفضل منها الآن، كانت مجهولة مستنكرة فى الجاهلية، و كانت محصورة فى شعاب مكة، مطاردة من أصحاب الجاه و السلطان فيها، و كانت غريبة فى زمانها فى العالم كله و كانت تحف بها امبراطوريات ضخمة عاتية تنكر كل مبادئها و أهدافها.

ولكنها مع هذا كله كانت قوية، كما هى اليوم قوية، وكما هى غداً قوية.. إن عناصر القوة الحقيقية كامنة فى طبيعة هذه العقيدة ذاتها، و من ثم فهى تملك أن تعمل فى أسوأ الظروف و أشدها حرجا، إنها تكمن فى الحق البسيط الواضح الذى تقوم عليه، و فى تناسقها مع الفطره التى لا تملك أن تقاوم سلطانها طويلا و فى قدرتها على قيادة البشرية صعداً فى طريق التقدم، و فى أية مرحلة كانت البشرية من التأخر أو التقدم الاقتصادى و الاجتماعى و العلمى و العقلى.. كما أنها تكمن فى صراحتها هذه وهى تواجه الجاهلية بكل قواها المادية فلا تخوم حرفاً واحداً من أصولها، و لا تربت على شهوات الجاهلية، و لا تتدسس إليها تدسساً، إنما تصدع بالحق صدعا، مع إشعار الناس بأنها خير و رحمة و بركة.

و الله الذى خلق البشر يعلم طبيعة تكوينهم و مداخل قلوبهم، و يعلم كيف تستجيب حين تصدع بالحق صدعا فى صراحة وقوة، وبلا تلعثم ولا وصوصة؟!

إن النفس البشرية فيها الاستعداد الانتقال الكامل من حياة إلى حياة، وذلك قد يكون أيسر عليها من التعديلات الجزئية فى أحيان كثيرة... و الانتقال الكامل من نظام حياة إلى نظام آخر أعلى منه و أكمل و انظف، انتقال له ما يبرره فى منطق النفس.. و لكن ما الذى يبرر الانتقال من نظام الجاهلية إلى نظام الاسلام، إذا كان النظام الاسلامى لا يزيد إلا تغييراً طفيفاً هنا،

و تعديلا طفيفاً هناك ؟ إن البقاء على النظام المألوف أقرب إلى المنطق ، لأنه على الأقل نظام قائم ، قابل الاصلاح و التعديل ، فلا ضرورة لطرحه ، والانتقال إلى نظام غير قائم و لا مطبق ، ما دام أنه شبيه به فى معظم خصائصه !

و يدعو سيد قطب إلى هجر الأسلوب الدفاعى ، و يحث على الاعتزاز بالاسلام وكشف القناع عن الحضارة الأوروبية المزعومة ، فيقول :

و ليس فى إسلامنا ما نخجل منه ، و ما نضطر للدفاع عنه ، و ليس فيه ما نتدسس به للناس تدسساً ، أو ما نتعاثم فى الجهر به على حقيقته . . إن الهزيمة الروحية أمام الغرب و أمام الشرق و أمام أوضاع الجاهلية هنا و هناك هى التى تجعل بعض الناس . . « المسلمين » ! . . يتلمس للاسلام موافقات جزئية من النظم البشرية ، أو يتلمس من أعمال « الحضارة » الجاهلية ما يسند به أعمال الاسلام و قضاءه فى بعض الأمور .

إنه إذا كان هناك من يحتاج للدفاع و التبرير و الاعتذار فليس هو الذى يقدم الاسلام للناس ، و إنما هو ذاك الذى يحيا فى هذه الجاهلية المهلهلة المليئة بالمتناقضات و بالنقائص و العيوب ، و يريد أن يتلمس المبررات للجاهلية ، وهؤلاء هم الذين يهاجمون الاسلام و يلجئون بعض محبيه الذين يجهلون حقيقته إلى الدفاع عنه ، كأنه متهم مضطر للدفاع عن نفسه فى قفص الاتهام »

و يصف سيد قطب الاعتذاريين الذين يهرتهم الحضارة الغربية فيحاولون التوفيق بين الاسلام و الحضارة الغربية و هى العقلية التى سادت على الكتاب الاسلاميين فى أوائل القرن العشرين .

« بعض هؤلاء كانوا يواجهوننا ـ نحن القلائل المنتسبين إلى الاسلام ـ فى أمريكا فى السنوات التى قضيتها هناك ـ و كان بعضنا يتخذ موقف الدفاع و التبرير . .





و كنت على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية . . سواء فى معتقداتها الدينية المهلهلة ، أو فى أوضاعها الاجتماعية و الاقتصادية و الأخلاقية المؤذية . . هذه التصورات عن الأقانيم وعن الخطيئة و عن الفداء ، وهى لا تستقيم فى عقل وضمير . . وهذه الرأسمالية باحتكارها و رباها وما فيها من بشاعة كالحة . . وهذه الفردية الأثرة التى ينعدم معها التكافل إلا تحت مطارق القانون . . وهذا التصور المادى التافه الجاف للحياة و حرية البهائم التى يسمونها « حرية الاختلاط » . . و سوق الرقيق التى يسمونها « حرية المرأة » . . و السخف و الحرج و التكلف المضاد لواقع الحياة فى نظم الزواج والطلاق ، والتفريق العنصرى الحاد الخبيث . . ثم . . ما فى الاسلام من منطق و سمو إنسانية وبشاشة ، و تطلع إلى آفاق تطلع البشرية دونها ولا تبلغها ، لا من مواجهة الواقع فى الوقت ذاته و معالجته معالجة تقوم على قواعد الفطرة الانسانية السليمة .

و كانت هذه حقائق نواجهها فى واقع الحياة الغربية . . وهى حقائق كانت تخجل أصحابها حين تعرض فى ضوء الاسلام . . و لكن ناسا ـ يدعون الاسلام ـ ينهزمون أمام ذلك التتن الذى تعيش فيه الجاهلية حتى يتلمسون للاسلام مشابهات فى هذا الركام المضطرب البائس فى الغرب . و فى تلك الشناعة المادية البشعة فى الشرق أيضاً ! »

و فى خاتمة المطاف يدعو سيد قطب إلى الاستعلاء فى « معالم الطريق » و ينشد ثورة المؤمن الأبى بالغيور واثقاً بنصر الله و هو أسلوب ينشأ طبعياً فى ظروف القهر و الاضطهاد التى سادت فى العالم الاسلامى بسبب التبعية لأوروبا السياسية و الفكرية .

« الاستعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الايمان ، وعلى قيم الأرض

التى لم تنبثق من أصل الايمان و على تقاليد الأرض التى لم يضعها الايمان ، وعلى قوانين الأرض التى لم يشرعها الايمان ، وعلى أوضاع الأرض التى لم ينشئها الايمان .

الاستعلاء . . مع ضعف القوة ، و قلة العدد ، و فقر المال ، كالاستعلاء مع القوة و الكثرة و الغنى على السواء

الاستعلاء الذى لا يتهاوى أمام قوة باغية ، ولا عرف اجتماعى ولا تشريع باطل ، و لا وضع مقبول عند الناس و لا سند له من الايمان .

و ليست حالة التماسك و الثبات فى الجهاد إلا حالة واحدة من حالات الاستعلاء التى يشملها هذا التوجيه الالهى العظيم .

الاستعلاء بالايمان ليس بجرد عزمة مفردة ، و لا نخوة دافعة ، ولا حماسة فائرة ، إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركوز فى طبيعة الوجود ، الحق الباقى وراء منطق القوة ، و تصور البيئة و اصطلاح المجتمع ، و تعارف الناس ، لأنه موصول بالله الحى الذى لا يموت .

إن للمجتمع منطقه السائد وعرفه العام وضغطه الساحق و وزنه الثقيل . . على من ليس يحتمى منه بركن ركين ، وعلى من يواجهه بلا سند متين . . وللتصورات السائدة و الأفكار الشائعة إيحاؤهما الذى يصعب التخلص منه بغير الاستقرار على حقيقة تصغر فى ظلها تلك التصورات و الأفكار ، و الاستمداد من مصدر أعلى من مصدرها ، و أكبر و أقوى .

و الذى يقف فى وجه المجتمع ، و منطقه السائد ، و عرفه العام و قيمه و اعتباراته ، و أفكاره و تصوراته و انحرافاته و نزواته . . يشعر بالغربة كما يشعر بالوهن ، ما لم يكن يستند إلى سند أقوى من الناس ، و أثبت من الأرض و أكرم من الحياة .





و الله لا يترك المؤمن وحيداً يواجه الضغط ، و ينوء به الثقل ، و يهده الوهن و الحزن و من ثم يجئ هذا التوجيه : « و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

الدين أساس القومية :

يقول الكاتب الاسلامى الكبير الشيخ على الطنطاوى (١) .

« إن الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوروبا هو الذى ينظم علاقة الانسان بالله ، وبما خلق الله من المخلوقات المغيبات وراء المادة ، وبالعالم الآخر ، فلا علاقة له بالحياة السياسية و لا الأوضاع الاجتماعية و لا بالقوانين و النظم و لا يصح أن تبنى عليه الجامعة القومية .

هذا ما يقرره العلماء الذين بحثوا فى هذه الجامعة و طبيعتها و قيمتها و فى مقدمتهم رينان ، فى محاضرته المشهورة التى ألقاها فى الصربون سنة ١٨٨٢م وهذا صحيح فى الأديان ، و لكنه ليس بصحيح فى الاسلام ، لأن الاسلام ذاته قومية ، و رابطة اجتماعية معنوية ، ليست قائمة على لغة و لا على أرض ، و لكن على ما يسميه ، أرنست رينان بالارادة المشتركة ، و يجعله أساس الرابطة الوطنية .

فليس وطن المسلم مكة ، و لا المدينة ، و لا البلد الذى ولد فيه ، و لكن وطن المسلم المبادىء الاسلامية ، فحيثما وجدت هذه المبادىء وحيثما كان أهل « لا إله إلا الله محمد رسول الله » (ﷺ) فثم وطن المسلم .

وعندى أن هذه الرابطة الاسلامية رابطة « إنما المؤمنون إخوة » معجزة من أعظم معجزات الاسلام لأنه أقر منذ أربعة عشر قرناً ، المبدأ الذى اهتدى إليه

(١) للشيخ على الطنطاوى مؤلفات كثيرة فى الأدب ، و النقد ، و التاريخ و التربية الاسلامية كان لها تأثير كبير على الفكر الاسلامى .

العقل البشرى سنة ١٨٨٢ ، وسار منذ أربعة عشر قرن فى الاتجاه الذى يسير فيه العالم اليوم ، لقد سقط اليوم مبدأ القوميات الذى دعا إليه الرئيس ولسن بعد الحرب ، و نهضت المبادىء الفكرية و الاقتصادية فانقسم العالم كما ترون إلى جبهات ثلاث ، الديمقراطية والشيوعية والفاشستية .. فكما أن الشيوعى الفرنسى أخو الشيوعى الروسى ، ولو تنامت الديار ، وتباينت اللغات واختلفت الأجناس ، فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان و كيفما كان (١)

و يشرح الشيخ على الطنطاوى قيام مجتمع إسلامى ، يتحمل فيه كل فرد واجباته ، يعمل كل واحد من المسلمين . فى المنزلة التى وضعه الله فيها ، فاذا جعله الله عالماً لم يكتف بتدريس هذه الكتب التى قرأها على مشايخه و فهم عبارتها ، وإنما يعمد إلى مسألة فيدرسها درساً علمياً ، مستنداً إلى الكتاب و السنة ، مطلعاً على روح العصر ، و حاجاته ، غير متقيد إلا بغرض الشارع و اهداف الشريعة ، فيبين ذلك و يرشد الأمة إليه .

« و إذا كان معلماً حرص على تقويم أخلاق طلابه ، و تلقينهم روح العلم الصحيح ، و نشأهم على الاسلام ، و لم يكتف بأن يعيد ما فى الكتاب ، و هو جاهل به ، يستر جهله بارضاء التلاميذ و زيادة درجاتهم .

و إن كان مدرساً فى مسجد قام بوظيفته على وجهها ، و لم يسرق المرتب بلا عمل و إن كان أديباً جعل أدبه أداة من أدوات النجاح لهذه الأمة ، و عاملا من عوامل تقدمها ، و لم يكن أدبه جمالا مجرداً ، لا يبالى أن دعا فيه إلى الرذيلة ، أم عمل فيه على الالحاد ، و إن كان صحفياً جعل له مبدأ ، و غاية ، و لم ينحط إلى مجاراة الجماهير و التزلف إليهم ، بما يرغبون فيه من ألوان الدعارة ، و أنواع الصور ، و أشكال الأدب التافة الرخيص .

(١) على الطنطاوى - فصول إسلامية ٤٣ .





و إن كان موظفاً حرص جهده على تأدية الواجب عليه أولا ، و تسخير وظيفته ما استطاع فى خدمة الناس .

و إن كان هناك من يحمل قسطاً من القيادة ، فهم رجال الأدب و العلماء (١)

شاع الوعى الاسلامى فى هذا العصر ، فلم تعد الدعوة إلى الاسلام غريبة ، كما كانت فى أوائل القرن العشرين التى كان الاسلام فيها فى قفص الاتهام بسبب التضليل و التشويه الذى قام به المستعمرون و أعوانهم من المستشرقين و ذلك بفضل مكتبة ضخمة نشأت فى كل موضوع ، عالج بها الكتاب الاسلاميون الشكوك و الشبهات حول الاسلام بأسلوب مؤثر على رزين ، و منطق معاصر ، و كانت معالجتهم لمشاكل العصر و المسائل التى أثارها الكتاب الغربيون ، و من اغتر بكتاباتهم من المسلمين معالجة تتسم بالدقة و المعرفة التامة ، و التعبير المقنع .

و قد كان فى مقدمة من كشف زيغ المستشرقين و الكتاب المسلمين الذين وقعوا فى الفخ الذى نصبه المستشرقون و خدعوا بأسلوبهم العلمى المزعوم ، الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله الذى بذل جهداً جباراً فى هذا المجال .

يقول فى كتابه القيم « السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى » و من المؤسف أن يسير وراء أعداء الاسلام فى الحاضر فئة ممن لا نشك فى صدق اسلامهم من العلماء و الكتاب و لكنهم منخدعون بمظهر التحقيق العلمى الكاذب الذى يلبسه هؤلاء الأعداء فى المستشرقين ، و المؤرخين و الغربين ، عن حقيقة أهدافهم و مقاصدهم ، فاذا هم - و هم مسلمون - ينتهون إلى الغاية التى يسعى إليها أولئك - و هم يهود أو مسيحيون ، أو استعماريون - من إذاعة الشك و الريبة فى الاسلام » ، و يقول فى موضع آخر عن المستشرقين ، « أكثر الذين يشتغلون منهم

(١) فصول اسلامية .

بهذه الدراسات فى رجال الدين الذين يعنون بتحريف الاسلام و تشويه جماله أو من رجال الاستعمار الذين يعنون ببلبلة بلاد الاسلام فى ثقافتها و تشويه حضارتها فى أذهان المسلمين تتسم بحوثهم بالظواهر الآتية .

(١) سوء الظن و الفهم لكل ما يتصل بالاسلام فى أهدافه و مقاصده :

(٢) سوء الظن برجال المسلمين و علمائهم و عظمائهم :

(٣) تصوير المجتمع الاسلامى فى مختلف العصور و خاصة فى العصر الأول بمجتمع متفكك :

(٤) تصوير الحضارة الاسلامية دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها و احتقاراً لآثارها :

(٥) الجهل بطبيعة المجتمع الاسلامى على حقيقته ، و الحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون فى أخلاق شعوبهم و عادات بلادهم :

(٦) إخضاع النفوس للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم و التحكم فى ما يرفضونه و يقبلونه من النصوص :

(٧) تحريفهم للنصوص فى كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً و اساءتهم لفهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف :

(٨) تحكمهم فى المصادر التى ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث ، و فى كتاب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه و يصححون ما ينقله « الدميرى » فى كتاب « الحيوان » و يكذبون ما يرويه مالك رحمه الله فى « المؤطاء » كل ذلك إنسياقاً مع الهوى ، و انحرافاً مع الحق »(١) .

ركز الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله جهده على كشف زيغ المستشرقين

(١) السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى ، للدكتور مصطفى السباعى .





و تدسيسهم و على تصوير الحضارة الاسلامية ، و التاريخ الاسلامى تصويراً لائقاً ، و على الدفاع عن المصادر الاسلامية الأصيلة ، و على دعوة المسلمين إلى اتباع شريعتهم و الاقتداء بمثل الاسلام و هو يؤكد أن الحضارة الاسلامية هى التى تضمن السعادة و الفلاح ، وقد سار هذا المسلك كتاب إسلاميون آخرون أيضاً و جهودهم تشكر ، منهم الأستاذ محمد قطب ، و الأستاذ محمد المبارك و الأستاذ محمد البهى و غيرهم من الكتاب .

وإن هذه الصحوة الاسلامية التى نشهدها ترجع إلى حد كبير إلى جهود أمثال هؤلاء الكتاب الاسلاميين الذين قاموا بتوعية المسلمين ، و عالجوا مشاكلهم ، و أتحفوا المكتبة الاسلامية فى كل موضوع من المواضيع العلمية و الأدبية والفنية ، و ألفوا فى سائر فنون الأدب ، كالقصة ، و الرواية ، و المسرحية و الشعر ، كما ألفوا فى النفس و الاجتماع و الاقتصاد ، و التاريخ و النقد ، بالمنظور الاسلامى (١) و أصدروا كذلك قصص البطولات الاسلامية التاريخية و المعاصرة (٢) .

و قد لعبت أيضاً الصحافة الاسلامية فى هذه الفترة دوراً مهماً فى التوعية

(١) فى مقدمتها كتب الأستاذ محمد قطب ، و الشيخ محمد الغزالى ، و الدكتور يوسف القرضاوى و الدكتور محمد أبو السعود ، و الدكتور عمر فروخ ، و الأستاذ انور الجندى ، و الدكتور عماد الدين خليل . و عدد كبير من الكتاب المسلمين .

(٢) نذكر منها سلسلة كتب اللواء الركن محمود شيت الخطاب ، و سلسلة الكتب التى صدرت بقلم وتحت اشراف الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا ، والشيخ عبد العزيز الرفاعى ، والأستاذ وليد الأعظمى ، والأستاذ عمر بهاء الأميرى ، و الشيخ محمد المجذوب نظماً و نثراً .

الاسلامية رغم ضآلة وسائلها و الضغوط السياسية ، فنشرت بحوثاً قيمة و مواداً أدبية هادئة ، و دراسات تتسم بصدق التعبير و بالمسئولية ، و كافحت الأقلام المسعورة بجراءة ، و صراحة و صدق ، بأسلوب مدعم بالمادة العلمية ، و الروعة البيانية .

و دخلنا بفضل هذه الجهود القيمة و الحركة العلمية و الأدبية ، و الدعوية و التربوية فى مرحلة متقدمة للوعى الذاتى ، نشعر فيها بالاعتزاز بتراثنا ، و بتاريخنا ، و بعلومنا و بحضارتنا و بقادتنا ، و نؤمن بأننا ننتمى إلى خير أمة ، و سنسعد بهذه المكانة العالية إذا ثبتنا على قواعدنا ، و سرنا فى ضوء تعاليم ديننا ، بثقة و يقين ، و نفضنا عن الغبار الذى عكر الجو مدة من الزمن بأقدام المستعمرين ، و خرجنا من حالة الشك و التردد و الخواء التى فرضتها علينا أقلام المستشرقين .

و قد كان للكتاب بالعربية فى الهند و على رأسهم سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى دور رائد فى توجيه الفكر الاسلامى فى العالم و انعاشه ، بمكافحة الغزو الفكرى ، و عرض الحضارة الاسلامية ، و تصوير الحياة الاسلامية و تحليلها ، و الدعوة إلى الاسلام من جديد ، و كان لكتاباتهم صدى عميق فى سائر أوساط العلم و الأدب فى العالم الاسلامى ، وخاصة العالم العربى ، لأنهم اختاروا اللغة العربية كوسيلة للتعبير ، و اختاروا العالم العربى ، للتأثير على الفكر الاسلامى ، لأنه يحمل مكانة مرموقة ، و تشكل مركزاً حساساً ، باعتبارات مختلفة ، لا يكتمل تاريخ أدب الصحوة الاسلامية بدون ذكر مساهمة الهند فى مجال الدعوة ، و الأدب الاسلامى .

يتبع



# اختبار النصوص الأدبية
## من وجهة النظر الاسلامية

( ٢ )

الأستاذ محمد سلطان ذوق الجاتكامى (بنغلاديش)

وقترات السعادة و الشقاء طالت وقصرت نتيجة لتلك الظروف ، فى آداب اللغات فافترق رجال الأدب على نوعين ، منهم من يجعل هدف الأدب نظماً اونثراً تهذيب الأخلاق و تكوين الرجال و بناء المجتمع البشرى على أسس صحيحة و دعوة الناس إلى ربهم بالحكمة و الموعظة الحسنة و على بصيرة و نور ، ومنهم من يتخذه من وسائل التسلية و متعة النفس و إرضاء شهوة الأدب أو الحصول على متعة مادية ، النوع الأول هو الأدب الطبيعى توجد نصوصه فى أسلوب حر ، تحمل روحاً و نشاطاً و حياة و قوة ، وجدة و عذوبة ، و النوع الثانى هو الأدب الصناعى والأدب التقليدى ، يمون كلاماً مصنوعاً مسجعاً ، لا روح فيه و لا حياة و لا قوة ، و لا طرافة ولا لذة ، والنسبة بين النوعين نسبة القشر واللب ونسبة الجسد و الروح ، و بينهما فوارق حسية و معنوية كثيرة .

ثم الأدب الطبيعى لا يرضى بحصر ذخائره فى كتب ومؤلفات الأدباء والكاتبين إثر محاولة أدبية و على طرازهم الخاص ، بل نعد كتب التاريخ والسير و الأخلاق و الحكم من أفضل وأثمن ذخائر الأدب العربى ، بعد القرآن و الحديث ، حتى إن كثيراً منها - رغم أنها ما كتبت فى إطار الأدب العربى - تمثل أدباً فائقاً لايكاد يوجد نظيره فى مؤلفات وكتابات الأدباء الكبار - وتقوم أمام الأخطار والتحديات التى تحدق بالاسلام و رسالتها الخالدة .

و بجنبها كتب أدبية صنفت بيد الكتاب المتكلفين من سلف و خلف ، نالت بعضها إقبالا كبيراً من واضعى المناهج التعليمية فى شتى البلاد المسلمة ، مثل نفحة اليمن و القليوبى و المقامات للحريرى و السبع المعلقات ، و نحوها .

فيها قصص و حكايات ليست من الواقعية و الصحة فى شئ ، لا تفيد إلا الالمام بأفانين المكر و الخداع ، أو الاتجاه إلى أخلاق بشيعة ، و بعضها تشتمل على أشنع تعبير وأفحش تصوير للميول الجنسية ، كما أنها ليست من الأدب فى مستوى رفيع ، وبعضها كتبت باقتراح من أعداء الاسلام وأهله ، و بعضها و إن وجدت كمراجع أدبية فليست مما لا محالة عنها ، أو يناسب الايغال فيها ، أ ليس بامكاننا و وسعنا أن نجعل منها مختارات جيدة ؟ ألا نجد عوضاً عنها كتباً أدبية أو تاريخية تصور دماثة الأخلاق والمفاهيم الاسلامية السامية ، إلى جانب ارتفاع مستواها الأدبى ؟ ألا تستأهل قصيدة زهير و ديوان حسان و منثورات بعض المولدين الصالحة أن تنوب مناب تلك الأشعار التى تمثل المكر و الرد و الفحش و الخنا ؟

تعالوا ندرس من تلك الكتب الأدبية بعض نصوص أدبية أو غير أدبية ، و نستفت قلوبنا : هل هما أفصح و أحسن و أنفع أم تلك ؟

يقول الأديب الشهير ابن المقفع فى « الأدب الصغير و الأدب الكبير »

حكمتان : إذا هممت بخير فبادر هواك لا يغلبك ، و إذا هممت بشر فسوف هواك ، لعلك تظفر ـ فان ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنم ، لا يمنعنك صغر شأن امرىء من اجتناء ما رأيت من رأيه صواباً ، و الاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريماً ، فان اللؤلؤة الفائقة لاتهان لهوان غائصها الذى استخرجها »

انظروا إلى سلاسة العبارة و دقتها مع ما أفاد من حكمة غالية .

وابن المقفع كانت له فى إنشائه طريقة سهلة جارية مع الطبع عامرة بالمعانى ، هو الذى يذكر من أهداف كتابه :

« وقد وضعت فى هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب و صقالها وتجلية أبصارها ، وإحياء للتفكير و إقامة للتدبير ودليل على محامد الأمور و مكارم الأخلاق إن شاء الله »

ونقل الشيخ الندوى عن الدكتور أحمد أمين تحت عنوان ـ الدين الصناعى !

« هل تعرف الفرق بين الحرير الطبعى و الحرير الصناعى ؟ و هل تعرف





الفرق بين الأسد وصورة الأسد ؟ وهل تعرف الفرق بين الدنيا فى الخارج والدنيا على الخريطة ؟ و هل تعرف الفرق بين عملك فى اليقظة و عملك فى المنام ؟ وهل تعرف الفرق بين إنسان يسعى فى الحياة وبين إنسان من جبص وضع فى متجر لتعرض عليه الملابس ؟ و هل تعرف الفرق بين النائحة الثكلى و النائحة المستأجرة ؟ وبين التكحل فى العينين والكحل ؟ وهل تعرف الفرق بين السيف يمسكه الجندى المحارب و بين السيف الخشبى يمسكه الخطيب يوم الجمعة ؟ و هل تعرف الفرق بين الصوت والصدى ؟ إن عرفت ذلك فهو بعينه الفرق بين الدين الحق والدين الصناعى إلخ ، (١)

تأملوا فى هذا النص ، كيف جرى جرياً عجيباً إنه من السهل الممتنع ، العبارة أنيقة والأمثلة رائعة ، مع ما حواه الكلام من أناقة عجيبة الافادته و وفرة الأمثال ، فصار بها أوقع فى النفوس و أشد تأثيراً فى اختلاب القلوب .

و يقول الشيخ الندوى فى كتابه « إذا هبت ريح الايمان »

وصل السيد (أحمد شهيد) ورفاقه فى طريقهم إلى كلكتة إلى بلد على شاطئ النهر اسمه مرزا بور ، و إذا بسفينة حمولة ، واقفة على الشاطئ ، مشحونة بغرائر وجواليق من القطن ، وصاحب السفينة ينتظر الحمالين ، الذين ينقلون هذه الجواليق إلى مخزنه ، فاضطرت سفن الحجاج إلى الانتظار بعيداً عن الشاطئ ـ حتى يأتى دورها ـ سأل السيد عن السبب ، فقالوا سفينة حمولة ، وحجزت الشاطئ ، وسدت طريقنا ، و هى تنتظر التفريغ ، و الحمالون غائبون ، فقال : و من يمنعنا عن أن نباشر هذا العمل ، ألسنا بشراً ؟ أم أيدينا مكتوفة أو مغلولة ؟ و لم يتم الأمير هذه الكلمة حتى و ثب الناس ، و فيهم كبار العلماء ، و أبناء الأشراف والأغنياء ، إلى السفينة ، وتخطفوا هذه الأعدال الثقيلة ، يحملونها على رؤسهم واكتافهم ، منهم من يستقل بعمله و منهم من يتعاون مع صاحبه ، ينقلونها إلى حيث يريد التاجر ، حتى فرغت السفينة فى وقت قصير ، و كفى التاجر مؤنة الحمل و الأجرة ، والناس

(١) مختارات من أدب العرب ج ١ ، لسماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى .

ينظرون إلى هذه الجماعة فى دهشة و استغراب و فى سرور و إعجاب » إلخ .

انظروا ! مع أن هذا الكتاب ليس كتاباً أدبياً ، بل مقتطف من تاريخ الدعوة و الجهاد فى الهند ، كيف يشرح الواقع شرحاً أنيقاً ، و يسرد الكلام سرداً غريباً ، يملك بلاغة و أدباً قل مايوجد فى كلام البلغاء ، و فى ضمن القصص توجيه روحى يأخذ بقلب القارىء إلى التوبة و الانابة ، و ينفث فيه روح الخدمة و التطوع .

و كذلكم الكتاب الشهير لسماحته : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، يرمى فى وقت واحد إلى أهداف مختلفة ، و مواضيع متنوعة .

وأظن أن أى نص أدبى يتقارب إلى أدب صدر الاسلام ويرتشف فيه الكاتب من حياض القرآن والحديث ، فهو إلى الحسن والجودة أقرب ، و بالعكوف عليه درساً و حفظاً و تقليداً أليق .

★ خطوة هادفة : و لقد قام فى مجال الأدب الاسلامى رجال ندوة العلماء وأبناءها بعمل يذكر وجهد يشكر ، وتقدموا بخطوة ثورية نالت حظها من العناية فى الأوساط العلمية المعاصرة ، حيث تركزت أعمالهم على هذه النقطة الهامة تركيزاً عميقاً ، و لا أنهم اقتنعوا بوضع منهج جديد للتعليم الدينى فحسب ، بل وأعدوا لتطبيق هذا المنهج عدداً وعدداً كما يجب .

أنقذوا الأدب العربى - كما قالوا فى بعض مقالهم - من الحصار الضيق الذى كان يعيشه بين المقامات الحريرية ونفحة اليمن والأدب وديوان المتنبى ، و أخرجوه إلى الجو الواسع ، و هدوا تلاميذ الأدب العربى من الانشاء المسجوع التقليدى إلى الأسلوب الطبعى الأصيل ، حرى بأن يسجل لهم قلم العصر الجديد تاريخاً مجيداً .

فعلينا أن لا نجعل المقررات الدراسية كالأماكن الأثرية ، فلا نقلدها تقليداً





أعمى ، و لا نخبط خبط عشواء ، بل نمشى على هدى و نور ، و نفحص عن الأدب و النصوص من وجهة النظر الاسلامية ، و ننقب فى مكتبة الأدب العربى من جديد ، و نقدم للنشء الجديد نماذج أدبية تجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع من نظم و نثر ، كما أرشدنا إلى هذا الداعية الكبير سماحة الشيخ الندوى قائلا :

« إن مكتبة الأدب العربى فى حاجة شديدة إلى استعراض جديد وإلى دراسة جديدة و إلى عرض جديد ، و لكن هذه الدراسة و هذا الاستعراض يحتاجان إلى شئ كبير من الشجاعة وإلى شئ كبير من الصبر و الاحتمال و إلى شئ كبير من رحابة الصدر وسعة النظر » إلى آخر ما قال .

★ نقاط رئيسية تدور حولها نتائج هذا البحث : (ألف) الالتزام بصفاء اللغة و صدق التعبير و الاجتناب عن وحشة الألفاظ و غرابة المعانى ، و تعقد التراكيب .

فيدخل الأدب الجاهلى الذى لايصور العصبية والمنكرات الخلقية تحت النصوص المختارة ، بعد القرآن و الحديث .

★ (ب) التعبير عن التعاليم الخلقية والجوانب الروحية مع حسن التناسق و جزالة المعنى .

ففى ضوء هذا ، النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية و خطب الخلفاء الراشدين و أئمة الدين تعد صورة صادقة للنصوص الأدبية .

★ (ج) التعرف إلى جزالة اللفظ و انسجام التركيب و دقة التعبير ، و التطور الملحوظ فى عصور الأدب العربى .

★ (د) دراسة مقارنة ناقدة لتطورات الأدب فى عصور مختلفة .

★ العالم الاسلامى :

بمناسبة إعلان جائزة الملك لخدمة الاسلام

# ● لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ●

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد والافتاء

بقلم ‡ الأستاذ محمد الرابع الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء

**لقد** وقع اختيار لجنة جائزة الفيصل العالمية فى هذا العام على اسم سماحة العلامة الجليل والمربى الاسلامى الكبير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز لنيل جائزة خدمة الاسلام، و هذا اختيار موفق ، بل و كان حرياً به أن يكون أقدم و أسبق من هذا ، فنهنئ سماحة المربى الكبير الشيخ عبد العزيز بن باز ، و نهنئ لجنة الجائزة على حسن اختيارها .

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز من أولئك العلماء الأعلام الذين يقل عددهم فى المجتمعات الاسلامية و جماعات علماء الدين ، و الذين يزدان بهم تاريخ بلادهم و عهودهم ، فان كل من يعرف سماحة الشيخ المذكور يصدق ذلك و يشهد به ، و المملكة العربية السعودية سعيدة بوجود هذه الشخصية العلمية الجليلة ، فان سماحته يسد عوزاً كبيراً فى الحياة الدينية والتربوية والدعوية الاسلامية لبلاده والبلدان الاسلامية المرتبطة دعوياً و علمياً بها .

لقد نشأ و ترعرع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز و هو غير قادر على الاستفادة بعينية لمرض طرأ عليهما ، فعطلهما منذ بداية سنه ، ولكنه لم يعجز عن





استفادة ما وجده نافعاً له من العلوم الاسلامية و الآداب ، فقد استعان بوسطاء يقرأون له ما يريد من العلم و الأدب ، فكان يتلقى العلم ويتضلع منه ، وقد ارتبط فى طلب العلم بكبار شيوخ عصره ، و كان فى مقدمتهم سماحة المرحوم الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ المفتى الأكبر للبلاد السعودية فى عصره ، و قد نال منه كل الثقة والاعتماد، حتى إنه كان ينيبه عن نفسه للاشراف العلمى و التعليمى الذى كانت مسئوليته عليه ، فلما أسست الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لتقوم بسد حاجة العالم الاسلامى إلى العلماء والدعاة ، و اختير لها سماحة المفتى محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيساً ، أناب سماحة الشيخ بن باز نائباً له للاشراف على الجامعة وإدارتها ، فنمت الجامعة ورسخت جذورها تحت توجيه وإشراف سماحة الشيخ بن باز، حتى أصبحت الآن دوحة وارفة الظلال ، و لا تزال فى توسع و تقدم مستمر .

ولما توفى الشيخ المفتى محمد بن إبراهيم آل الشيخ انتقلت عدد من المسئوليات العلمية و التوجيهية إلى سماحة الشيخ بن باز ، فقد صار رئيساً للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، و رئيساً لمجالس رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة . و لما نقل نشاطه المباشر من المدينة المنورة إلى الرياض اختير لرئاسة أعظم مركز إسلامى فى السعودية ، وهى رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد والافتاء التى تقوم بالأعمال الدعوية و التربوية و الفقهية ، و خدمة الاسلام فى كل مكان على أوسع نطاق ، و بظهور مكانة سماحته فى المملكة كثر اتصال المستفتين و أصحاب الحاجات العلمية والدينية بسماحته ، و عظم احترامه فى قلوب المسلمين فى بلاده و خارجها ، و حل فى نظرهم محل تقدير بالغ و نال إكباراً منهم لفضله و تعاونه مع طلاب العلم و الدين ، و لم ينحصر فضل سماحته فى تعاونه العلمى و الدينى فحسب ، بل و شمل أخلاقه وسلوكه مع الناس ، فقد وضع راحته و ماله تحت تصرف أصحاب

الحاجة من إخوانه ومواطنيه فى بلاده، فمع أنه ينال رواتب لائقة بمقامه، ولكنه يبذل ما يسعه البذل فى صالح أهل الحاجات الاسلامية و الاجتماعية .

و من أكبر ميزات سماحته هو الاخلاص لدين الله تعالى ، و الغيرة للسنة النبوية الشريفة ، فلا يحتمل أخف إخلال بالتوحيد و أقل خلاف للسنة ، و لا يملك نفسه عند ما يطلع على شيوع بدعة أو ضلال فى مجتمع المسلمين ، و تشهد بذلك مقالاته و بحوثه التى يمليها ، و تنشر فى المجلات و الصحف ، و الخطب التى يلقيها فى المناسبات .

و نظرة فى بحوثه و مقالاته تدل على غزارة ما فيها من معرفة و علم وعمق و استقصاء فيما يسوقه من دلائل وشواهد ، من الكتاب و السنة و كتب السلف من أئمة الاسلام و مفكريه الراشدين .

و كان سماحته ذا صلة خاصة بالملك الراحل فيصل بن عبد العزيز آل السعود رحمه الله منذ أن كان الملك أميراً و وزيراً فى حكومة بلاده ولكن صلته به كانت للاسلام وفى الاسلام، كان يزوده بنصحه وبلفت نظره فيما يهم من الأمور فى نصرة الحق والدين ، و كان سماحته مع ذلك ملتزماً بالقناعة وبما يسعه من الزهد فى أمر دنياه ، وعرف سماحته بين معاصريه ومواطنيه بهذه الميزة ، و هى صفة كانت أكبر عون له فى مجال خدمة الاسلام ، ولم يزل سماحته قائماً بنصحه للدين مؤثراً لما يسعه من التقوى فى خاصة حياته ، وهما من أخص صفاته وبما تزدان به حياته .

وسماحة الشيخ بن باز واسع الاطلاع على مايحدث ويدور للاسلام والمسلمين فى أقطار العالم الاسلامى ، يسأل الوافدين منها إليه عن التيارات الفكرية والدعوية و التربوية الاسلامية و المعادية للاسلام فيها ، ويتبادل الآراء مع علمائها ومفكريها الزائرين له و المتصلين به ، و يلتزم الدقة و الحزم فى تكوين رأيه عنها ، و إبداء





رأيه فى شأنها ، و هو يهدف فى كل ذلك إلى خدمة الدين و الأمة الاسلامية .

لخدمة الاسلام التى اختير اسمه الكريم لنيل الجائزة عليها خير عنوان لجهوده و مساعيه المختلفة التى يقوم بها منذ أن دخل فى مجالات النشاط العلمى و الفكرى و الدعوى قبل عقود من السنين .

إن منح جائزة الفيصل العالمية له على خدمته للاسلام أقل من أن تبلغ إلى قيمة خدمته العظيمة ، ولكنه لا يخلو من كونه اعترافاً من لجنة إسلامية دولية بفضله و عمله العملاق فى مجال خدمة الاسلام ، و هذا الاعتراف من مثل هذه اللجنة حق له عليها .

و بحيث إننا أبناء أسرة ندوة العلماء نسعد ببعض المعرفة لسماحته عن طريق شيخنا سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى تمتع بصلة ودية قريبة مع سماحة الشيخ بن باز و شخصيته العملاقة ، لذلك تلقينا خبر إعلان لجنة جائزة الملك الفيصل العالمية باختيارها لاسم سماحته لنيل جائزة خدمة الاسلام بكل سرور ، و ندعو الله تعالى لسماحته القبول العظيم عنده ، و استفادة الأمة الاسلامية بفضله لمدة أطول .

# أيام فى ولاية « مالوه » فى الهند المتوسطة

سعيد الأعظمى

وصلنا إلى مدينة « إندور » فى ١٨/ ربيع الأول ١٤٠٢هـ - ١٥/ يناير ١٩٨٢م على دعوة من أخينا الكريم الأستاذ أبى البركات الفاروقى، رئيس مدرسة رياض العلوم و هو من علماء هذه المنطقة الدعاة، متخرج من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، و يشتغل بعمل الدعوة و التوجيه الدينى فى خضم من أهل البدع والخرافات الذين يملأون الجو بأفكار واهية مبتدعة خرافية، ذلك لأن هذه المنطقة استحكمت عليها قبضة البدع منذ انقراض دولة العلماء التى وجدت بجوار دولة الملوك المسلمين فيها، وملاءمة جو البلاد للترحيب بالأفكار الواهية الخرافية التى تزيأت بزىّ الفكر الدينى فى ذلك الوقت.

نزلنا فى منزل أحد التجار المخلصين اسمه عبد الملك، و كان يوم الجمعة فطلب منى الأستاذ أبو البركات أن أخطب الجمعة و أصلى بالناس فى مسجد البلد الجامع، الذى يعرف باسم « كجى مسجد » وقد استغرقت الخطبة وقتاً لا بأس به ولكنها احتوت على إشارة إلى بعض الجوانب المهمة وتذكير الناس بمسئولية الدين والاهتمام بها، وقد شرح الأستاذ أبو البركات بعض معانيها بالأردية بعد صلاة الجمعة أمام المصلين.

و توجهنا بعد ما تغدينا فى بيت الشيخ حبيب أحمد أحد تجار المسلمين القائمين بالتعاون والمساهمة فى عمل الدعوة فى هذه المنطقة، إلى مدينة « ماندو » التى كانت مركزاً للحكومة الاسلامية فى القرون المتوسطة، و كان فيها حصن عملاق يحيط بالمدينة كلها، وبنايات إسلامية من المساجد والمدارس والزوايا والمحاكم، والمضايف والقصور، تشهد بعظمة الملوك المسلمين، وعلو همتهم فى جوانب النشاط والعمل.





و صلنا إلى مدينة « ماندو » و قد مررنا فى طريقنا إليها بقرية ديبال بور حيث صلينا صلاة المغرب مع إخوان لنا بهم صلة التعارف الاسلامى من زمن، و قد احتفوا بنا و طلبوا منا إلقاء كلمة فى المسجد بعد الصلاة، و أكرمونا بعدها بفطور وشأى، ثم استأنفنا المسير إلى « ماندو » ومررنا بمدينة « دهار » التى كانت عاصمة الولاية فى أيام دلاور خان غورى الذى عينه السلطان محمد تغلق فى القرن الثامن الهجرى حاكم الولاية فأسس فيها قلعته، و سور البلد.

نزلنا فى مدينة « ماندو » بالمضيف الرسمى وفى صباح اليوم التالى خرجنا إلى زيارة آثار « ماندو » الاسلامية وكلها من مخلفات الملوك المسلمين التى تنطق بعبقريتهم و قوتهم، و خاصة قلعة « ماندو » فهى آية فى البناء و التخطيط الهندسى، و لها بقايا من السور الطويل الضخم وفى داخله بقايا من المبانى و الآثار التى تشهد بعلو كعبهم فى الحكم و رعاية شئون البلاد.

وبهذه المناسبة الحلوة أحب أن أسرد بايجاز تاريخ هذه الولاية التى استقر فيها حكم المسلمين ستة قرون و نصف، و نبغ فيها جماعة من كبار العلماء والمصلحين، الذين ازدهر بفضلهم تاريخ المسلمين العلمى و التربوى، و ظلت ولاية « مالوه » مركزاً للعلماء و المشايخ و المربين و الدعاة إلى مدة طويلة.

تمتد أرض « مالوه » على مرتفعات جبال « بنديا جل » فى الهند المتوسطة، تحدها « سلسلة من جبال « بنديل كهند » و جبال « أزولى » شمالا، و نهر نربدا جنوباً، و جبال أمر كنتك شرقاً و ولاية غجرات غرباً، مناخها معتدل، و الجو فى الصيف يكون ممتعاً، و الأراضى خصبة.

فى القرن الرابع الهجرى بدأ الدعاة المسلمون يتوافدون إلى هذه المنطقة ففى عام ٤٣٤هـ المصادف ١٠٤٢م قدمها أول داع ومرب الشيخ عبد الله جنغال، الذى أسلم على يده ملك مالوه الهندوسى ( راجه بوج ) ثم توالى الدعاة و المربون من العلماء والمشايخ ممن بذلوا مجهودات ضخمة فى مجال الدعوة إلى الله، و قد عرف من

بينهم الشيخ كمال الدين ، الشيخ غياث الدين ، الشيخ مغيث الدين ، الشيخ وجيه الدين ، و الشيخ نور الدين .

و فى القرن السابع الهجرى - عام ١٢٣٣م غزا ملك دهلى السلطان شمس الدين الالتمش الجزء المتوسط من ولاية « مالوه » وأخضعه لحكمه ، ثم جاء غياث الدين بلبن ملك دهلى وأخضع جزءاً آخر من هذه الولاية لسلطنته ، وذلك فى الفترة بين ١٢٦٥-١٢٨٧م ، وإن كان هناك أقيال من الهندوس يحكمون بعض أجزاء الولاية ، و لكن الملك علاء الدين الخلجى وجه جيشاً بقيادة قائد جيشه الملك كافور و معه عين الملك ملتان ، و استطاع أن يخضع هذه الولاية بأسرتها لسلطنته .

و جاء فى أواخر القرن الثامن السلطان محمد تغلق فأسس فى مدينة « دهار » قلعة بالحجارة الحمراء و بنى فيها سوراً ، و ظلت هذه المدينة ضمن ولايات حكومة المغول فى دهلى حتى عام ٨٠٤هـ ، وكان حاكم هذه الولاية دلاور خان غورى وعاصمته مدينة « دهار » وهو الذى أسس المسجد الجامع فى « دهار » وبدأ فى تشييد قلعة ماندو فى عام ٧٩٥هـ ، وقد استقل دلاور خان بحكومة هذه الولاية وأعلن استقلال الحكم فى عام ٨٠٤هـ المصادف ٢-١٤٠١م وعرف بلقب عميد شاه داؤد ويوم ذاك قامت فى ولاية « مالوه » حكومة إسلامية مستقلة .

لم يأل الملك عميد شاه داؤد جهداً فى دعم سلطنته ، و إحكام قبضته ، وقام بتشييد بنايات و مساجد عديدة ، و من مآثره المعمارية قلعة « ماندو » التى تعذر نظيرها فى أى بلد إسلامى آخر ، وغير اسم ماندو و سماها « شادى آباد » وتوفى فى عام ٨٠٩ هـ و دفن فى عاصمته « دهار »

خلفه فى السلطنة ابنه « هوشنك شاه » و جلس على عرش الحكم ، و لكنه نقل عاصمته من « دهار » إلى « شادى آباد » وسماها ((دار الاسلام شادى آباد)) .

استطاع « هوشنك شاه » توسيع رقعة سلطنته بفتح ما والاها من المدن و إخضاعها للحكم ، و فى عام ٨٢٦هـ فتح قلعة « كاكرون » التى كانت تحت سلطة الأقيال الهندوس ، واستطاع كذلك أن يضم سلطنة جونبور الاسلامية إلى ولاية





« مالوه » حتى توسعت حدودها إلى ولاية « دكن » و سنحت للملك « هوشنك » فرصة لتأسيس دولة إسلامية واسعة قوية فى « مالوه » قام فيها باصلاحات كثيرة ، و من بينها أنه وزع دولته بين مقاطعات عديدة لكى يتسنى له تدبير شئون الدولة ، و أسس فى كل مقاطعة حصوناً و ثكنات ، و بنى على شاطئ نهر « نربدا » مدينة باسم « هوشنك آباد » و أسس فيها قلعة كبيرة ، و ذلك للدفاع عن دولته و رد الهجوم إذا كان عن الطرق البحرية .

لقد كان الملك هوشنك محباً للعلم معجباً بالعلماء و المشايخ ، و لا أدل على ذلك من المدرسة الاسلامية التى أسسها فى شادى آباد باسم « مدرسة العلوم » انتدب للتدريس و التربية فيها الشيوخ و العلماء من خارج البلاد ، و كان شديد الاعجاب بالشيخ أشرف جهانكير السمنانى ، يستشيره فى شئون السلطنة ، واختار الشيخ المخدوم القاضى برهان الدين مربى عصره ، مدينة « ماندو » كمقر له ، وبايعه الملك هوشنك ، و آواه فى مدفن الأسرة المالكة بعد وفاته ، وأصبحت « ماندو » منذ ذلك الوقت مورد العلم و العلماء فتوافد إليها الشيوخ الكبار و آثروها بالاقامة ، كالشيخ نجم الدين بن الشيخ نظام الدين الغزنوى ، والشيخ يوسف بدا ايرجى ، وشيخ الاسلام خليفه شاه ، و غيرهم من العلماء و المشايخ الكبار .

لما توفى الملك هوشنك خلفه نجله السلطان محمد شاه الغورى ، و اتخذ الملك مغيث خان وزيراً له فى شئون السلطنة ولقبه بالمسند العالى ، وعين ابنه محمود خلجى قائد الجيش ، و لكنه غدر الملك محمد شاه الغورى و قتله مسموماً ، ثم ثار على النظام و استولى على الملك وذلك فى شوال عام ٨٣٩هـ - ١٤٣٦م و كان ذلك نهاية عهد الغوريين فى ولاية « مالوه » و بداية عهد الخلجيين فيها .

استمرت دولة السلطان محمود خلجى فى ولاية « مالوه » نحو ٣٣ عاماً قام

خلال ذلك باصلاحات و توسعة رقعة السلطنة شمالا و جنوباً و شرقاً وغرباً حتى اعتبرت ولاية « مالوه » فى القرن الخامس عشر الميلادى أوسع وأكبر دولة إسلامية فى الهند ، وكان الملوك المسلمون آنذاك يحكمون فى دهلى ، وجونبور ودكن وغجرات ، و لكن السلطان محمود خلجى استرد هذه الولايات و ضمها إلى سلطنته ، و هكذا اعتبره المؤرخون ملكا غيوراً قام بجلائل الأعمال ، وازدهرت ولاية مالوه فى عهده ازدهاراً كبيراً فى كل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

كان السلطان محمود خلجى متديناً لا يستهدف من وراء هذه النشاطات إلا أن يزدهر الدين والعلم من جميع النواحى ، فأسس فى « شادى آباد » جامعة إسلامية سماها « دار العلوم » و مدرسة أخرى خصها بدراسة و تدريس الحديث و سماها « دار الحديث » ذلك عداما أسس فى طول البلاد وعرضها من المدارس الدينية ، وما عين من الرواتب للعلماء والشيوخ ، واقتطع لهم من الضياع والعقارات ، بجوار ما أسس من المستشفيات ، و مصانع الأدوية ، و مزارع العقاقير ، ومستوصفات للجانين حيث كان يوفر كل مرفق من الأدوية و الطعام ، و العلاج ، و السكن للمرضى مجاناً ، وطلب كبير الأطباء و رئيسهم الشيخ فضل الله أن يشرف على هذه الحركة الطبية و النشاط العلاجى فى مالوه .

بلغ السلطان محمود خلجى من الطموح و السماحة و التدبير و الشجاعة مبلغاً عظيماً فقد قضى فترة سلطنة ٣٣ عاماً كلها فى ميدان الحرب من غير أن يغفل أمور البلاد و شئون السلطنة ، و خدمة العلم والعلماء ، وتفقد حال الرعية و مساعدتها فى كل مجال ، إنه كان ملكا متديناً وخادماً للعلم والدين حقاً . (للحديث بقية)





# فضيلة الشيخ محمد الثانى الحسنى

## فى ذمة الله و التاريخ !

« قلم التحرير »

فجعت أسرة ندوة العلماء بحادث كبير يوم الثلاثاء ٢٠/ ربيع الثانى ١٤٠٢هـ المصادف ١٦/ فبراير ١٩٨٢م ذلك أن فضيلة الشيخ محمد الثانى الحسنى الندوى فاجاه الأجل عقب انحراف مباغت فى الصحة عانى منه ثلاثة أيام ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد الثانى الحسنى نجل شقيقة سماحة الشيخ مولانا السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء ، و كان شقيق فضيلة الشيخ الأستاذ محمد الرابع الندوى رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء ، و هذا الحادث صدمة عنيفة بالنسبة إلى سماحة الشيخ الندوى و أفراد عائلته و أسرته العلمية و الدينية ، فقد كان الفقيد ذا صلة ماسة بالجميع ، وكان محبباً لدى الناس نظراً إلى أخلاقه الفاضلة و تواضعه الجم و علو مكانته فى الورع والعلم ، و لمنجزاته القيمة فى مجال الدعوة و العمل الاسلامى ، و لخدماته فى المجالات الاجتماعية و العلمية ، و لصلته الوطيدة بعلماء و شيوخ عصره الصالحين .

لقد كان سماحة الشيخ الندوى خارج الهند فى رحلة إلى الربوع الاسلامية وفجع بهذا المصاب العظيم بعد عودته إلى لكهنؤ بليلة واحدة فحسب ، وحزن حزناً بالغاً على هذه المفاجأة الأليمة ، خاصة لأنه واجه الحادث خلال مدة قليلة من حادث وفاة نجل شقيقة الكبير المرحوم محمد الحسنى (رحمه الله) رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى سابقاً .

لقد كان الراحل العظيم الشيخ محمد الثانى الحسنى بالغاً من العمر ٥٧ سنة ، وقد رزقه الله تعالى منذ صباه من صفات الدين و الورع و التأمل فى ذات الله تعالى

ما لا يتمتع به كثير من الناس ، وتميز بتواضعه الجم و أخلاقه الفاضلة و النظرة الفاحصة و الجمع بين العلم و العمل ، و بين القول و الفعل بين معاصريه وأقرانه ، و تلك ميزة لها اعتبارها فى كل زمان و مكان

كان رئيس تحرير مجلة « رضوان » الشهرية التى أصدرها فى عام ١٩٥٦م كمجلة دورية لتربية النساء والبنات المسلمات ، ورزق ميزة خاصة فى تأليف الكتب حول تراجم الرجال ، وقلما رشيقاً وذوقاً عالياً فى النثر والنظم معاً ، كان يرتجل الكتابة والشعر حول مواضيع دينية وأدبية ، وله من بين مؤلفاته ، ترجمة حياة الشيخ محمد يوسف ، أمير جماعة التبليغ فى مجلد ضخم ، و ترجمة حياة الشيخ المحدث خليل أحمد الأنبيتوى ، وترجمت إلى العربية كذلك ، و قد نظم نشيد ندوه العلماء بقلمه الرشيق و لغته العذبة ، وسيبقى تذكاراً خالداً فى تاريخ ندوة العلماء ، وكان يعد كتاباً حول ترجمة حياة الأستاذ المرحوم محمد الحسنى (رحمه الله) وكان عضو المجلس التنفيذى لندوة العلماء، والأمين العام لجامعة فلاح المسلمين فرع ندوة العلماء بمديرية (رائے بريلى الهند)

إن أسرة المجلة لمن المفجوعين بالحادث و لكنها ترفع أصدق آيات العزاء إلى سماحة مربيها الجليل مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و إلى فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى و إلى فضيلة الأستاذ محمد واضح الندوى و إلى جميع أعضاء الأسرة الكريمة فى فقيدهم الغالى ، رحمه الله رحمة واسعة ، و أدخله فسيح جناية .

كما أن ندوة العلماء فجعت بوفاة عضوين آخرين من أعضاء مجلسها التنفيذى فى ظرف شهر مضى و هما الشيخ مصباح الدين التقوى رحمه الله ، الذى كان يشغل منصب أمين المالية لندوة العلماء ، و الشيخ محمد مستنصر الله الذى كان من أصحاب الخير والصلة بالعمل الاسلامى ، ولكليهما دور فى خدمة ندوة العلماء يذكر ويشكر ، رحمهما الله و جزاهما خيراً كثيراً .

### ندوة علمية حول « الاسلام والمستشرقون »

فى الفترة بين ٢٦-٢٨ ربيع الثانى ١٤٠٢هـ الموافق ٢١-٢٣ فبراير ١٩٨٢م





عقدت فى مجمع دار المصنفين ( إكاديمية شبلى ) بمدينة أعظم كره الهند ، ندوة علمية حول « الاسلام والمستشرقون » افتتحها سماحة الشيخ العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى بكلمته الترحيبية التى رحب بها حضرات الضيوف المندوبين فى الندوة ، وأشار فيها إلى الغرض الذى تتوخاه دار المصنفين بعقد هذه الندوة العلمية والبحث فى هذا الموضوع الهام ، وأكد أن دراسة الموضوع ونقاشه من وجهة النظر العلمية والموضوعية لمن أهم متطلبات العمل الاسلامى و الحركات العلمية فى العصر الحاضر ، و أن أى تأخير أو انتظار فى تفهم افتراءات و منافذ الاستشراق و الرد عليها فى ضوء العلم و الواقع و التاريخ لا ينتج إلا الأسلوب الاعتذارى الذى أصيب به المسلمون فى فترات مختلفة من تاريخهم ، و تشوهت بذلك سمعتهم فى كل مجال و مجتمع ، و قد ترأس الحفل الافتتاحى فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوى .

والبحوث التى قدمت فى جلسات الندوة احتوت على لغات مختلفة من العربية والأردية والانجليزية ، كما حضر المندوبون من الدول العربية وباكستان ومن جامعات الهند الكبرى ، وسننشر تفاصيل هذه الندوة العلمية فى العدد القادم باذن الله تعالى .

### ★ كتاب « فتح الرحمن فى إثبات مذهب النعمان » ★

أهدى إلينا فضيلة الشيخ المفتى نظام الدين الأعظمى مدير هيئة الأفتاء بجامعة دار العلوم ديوبند الاسلامية ، كتاب « فتح الرحمن فى إثبات مذهب النعمان » وهو من مؤلفات محدث الهند الكبير الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوى من مواليد ٩٥٨هـ ، وكان الكتاب ضمن الكتب الخطية فى مكتبات الهند ، فتصدى فضيلة الشيخ المفتى نظام الدين وبذل جهداً مشكوراً فى إخراج هذا الكتاب فى ثوب قشيب من الطباعة لأول مرة ، يقول الشيخ نظام الدين مشيراً إلى أهمية الكتاب فى مقدمته عليه : « ومما يزيد الكتاب أهمية أنه معجم فريد للأحاديث الصحيحة ، و مصدر أساسى للمسائل الشرعية فهو أحق أن يحظى بالعناية من الباحثين فى علم الحديث و المشتغلين بالمقارنة بين مذاهب الأئمة الأربعة ، وترجيح الراجح منها ، والراغبين فى أن يطلعوا على مصادر الشرع الأصيلة فى وقت واحد »

والكتاب هو الجزء الأول، ويرجى أن تظهر الأجزاء التالية فى وقت قريب، و قد حلى الشيخ نظام الدين هذا الكتاب برسالة مفيدة بقلمه فى أصول الحديث، باسم « رسالة أقسام الحديث فى أصول التحديث »

نشرت الكتاب المكتبة الحسامية فى ديوبند بخط عربى على ورق جيد، وهو جدير بأن يوضع ضمن المقررات الدراسية فى المدارس والجامعات الاسلامية.

## الجمعية المحمدية فى تلشى فور (غونده) الهند

الجمعية المحمدية فى مدينة تلشى فور بمديرية غونده (الهند) مؤسسة إسلامية تعنى بتعليم و تربية أولاد و بنات المسلمين فى المنطقة الشمالية بالهند، و قد أنشأت الجمعية مدرسة باسم الكلية الاسلامية لتعليم الكتاب و السنة، و تم وضع الحجر الأساسى لهذه الكلية فى مناسبة دينية وفى جو إسلامى بحضور حشد من خيرة المسلمين و علمائهم فى ١١/ ربيع الأول ١٤٠٢هـ يوم الجمعة.

و الجمعية تشرف على مدرسة للبنات المسلمات باسم معهد الزهراء الثانوى، و على قسم لتعليم الصناعة والمهن للبنات، كما أن لها نشاطاً فى مجال الدعوة والتبليغ فى هذه المنطقة بصفة خاصة، وقد أزمعت الجمعية إصدار مجلة شهرية باسم « الرسالة الجديدة » باللغة الأردية ضمن أهدافها التربوية والدعوية، ندعو الله سبحانه أن يوفق القائمين على هذه الجمعية للتقدم فى برامجها باخلاص.

## ★ دار العلوم أحمدية السلفية بدربنجه تؤجل مهرجانها التعليمى ★

إن المجلس الادارى لدارالعلوم الأحمدية السلفية بدربنجه بالهند قد قرر تأجيل المهرجان التعليمى الذهبى لدار العلوم عن موعده المقرر. وكان مزمعا عقده بمناسبة مرور ٦٥ عاماً على تأسيسها فى ٢٦، ٢٧، ٢٨ من فبراير القادم ١٩٨٢م. وذلك نظراً إلى ظروف البلاد الراهنة التى لا تناسب لاقامة مثل هذا المهرجان. وسوف يقام المهرجان باذن الله فيما بعد حيث تكون الظروف ملائمة لذلك، و يعلن عن موعده الجديد بعد تحديده إن شاء الله.